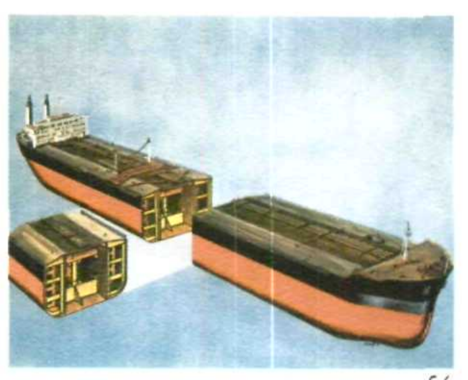
# قافلة الزيت

ذو القعدة ١٤٠١هـ - اغسطس/ سبتمبر ١٩٨١م



بسم الله الرحمن الرحيم





٢٩ ٢٤ ١٣

# قافلة الزيت

العدد الحادي عشر المجلد التاسع والعشرون
ذو القعدة ١٤٠١هـ - أغسطس سبتمبر ١٩٨١م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣١٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

تـوزع مجـانـاً

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : إسماعيل إبراهيم نواب
رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي
محرر المساعد : عوني أبو كشك

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها

**صورة الغلاف :**
لوحة فنية بريشة الطالب نوف حمد العجلي من مدارس الرياض الأهلية وهو أحد الفائزين بمسابقة أرامكو للرسم والتصميم .



DESIGNED AND PRINTED BY AL MUTAWA PRESS CO. DAMMAM

# الزكاة في الإسلام

## ودورها في خدمة المجتمع الإسلامي

بقلم : د. أحمد جمال العمري

**الزكاة ..** هي الركن المالي الاجتماعي من أركان الإسلام الخمسة ، وبها — مع التوحيد وإقامة الصلاة — يدخل المرء في عداد جماعة المسلمين ، ويستحق عضويتهم وأخوّتهم ، والانتماء إليهم ، كما قال الحق سبحانه : « **﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (١) .**

وهي — وإن كانت تذكر في باب العبادات باعتبارها شقيقة للصلاة — تعد في حقيقة أمرها جزءا من قيم الإسلام ، ونظامه المالي والاجتماعي ، ومن هنا أخذت مكانها في كتب السياسة الشرعية والمالية ، وعني علماء الإسلام ببيان أحكامها وأسرارها كل في دائرة اختصاصه .

لقد جعل الإسلام الزكاة ركنا من أركانه ، وشعيرة من شعائره ، وعبادة من عباداته ، يؤديها المسلم بوصفها فريضة دينية مقدسة ، امتثالا لأوامر الله ، وإبتغاء مرضاته ، طيبة بها نفسه ، خالصة بها نيّته حتّى تحوز القبول عند الله تعالى .

**« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » (٢)** . فالزكاة في شرع الإسلام ، يقوم بها المسلم جزءا من التكليف الإلهي للإنسان ، الذي استخلفه الله في أرضه ، ليعبده تعالى ، ويعمرها بالحق والعدل ، ليجني ثمرته في دار أخرى .. فهو يعد ويصقل ويصهر في بوتقة التكاليف والإبتلاء في هذه ، ليصلح للخلود والنعيم في الدار الباقية الأخرى .

وهنا نقف قليلا لنتعرف على .. **منهج الإسلام القائم على العقيدة .. في مجال المال ، ثم .. حق الله في المال ، ثم .. أهداف الزكاة بالنسبة للفرد المسلم ، وأخيرا .. دور الزكاة في خدمة المجتمع الإنساني .**

- **منهج الإسلام في مجال المال :**

لقد وضح الإسلام — بآيات القرآن أولا ، ثم بسنة رسول الله ثانياً — قواعد عامة ضابطة لاستنبات المال ، ثم لاستعماله وتوزيعه ، تقلم أظافر المال ، لتقلل من ضراوته ، وتجعله في خدمة المسلمين ، لا غولا يلتهم سعادتهم ، ويهدد أمنهم . وحتّى لا نتوسع في القول ، نورد هذه القواعد في إجمال وإيجاز :

أولا : لا مصدر للمال إلا العمل ، ولابد أن يكون عملا مشروعا ، فكل كسب يأتي بغير جهد — عدا الميراث — هو حرام ، ومن هنا حرمت عقود الغرر ، وحرم بيع غير الموجود ، لأنه كسب الحظ فيه هو مصدره .

ثانياً : أن المال أصلا هو مال الله **« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (٣)** والناس مستخلفونْ فيه **« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (٤) .**

فالمال وديعة بين أيدينا نمتحن بحسن رعايتها ، وردها إلى صاحبها ، بعد إدارة نافعة يعود خيرها على أكبر عدد من الناس .

ثالثاً : أن خير القربات إلى الله الإنفاق في سبيل المصلحة العامة **« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٥) .**

رابعاً : إن شر ما يفعله الناس هو إكتناز المال وحبسه عن التداول ، والاستعلاء بالمال . **« وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا » (٦) .**

خامساً : ليس لمن حرم المال أن يحسد الناس على ما آتاهم الله منه ، فهو رائح غاد ، ولا يبقى إلا العمل الصالح .

سادساً : الإسراف مكروه ... **« الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٧) .**

سابعاً : من لا يحسن استعمال المال وإدارته ترفع يده عنه .

ثامناً : المال لا يلد مالا ، وإنما الذي يلد المال : العمل ، **« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (٨) .**

تاسعاً : هناك الكثير من الأخلاق الاقتصادية التي يدعو لها الإسلام ، كالوفاء بالعقود ، وتحريرها بالكتابة ، وإحسان الوزن والكيل ، والنهي عن الغش ، وتحريم الإحتكار .

عاشرا : نظام الميراث في الإسلام ، الذي يفتت الثروة ، ويمنع تجميعها وتركيزها .

هذا الإطار العام ، الذي قد يبدو فضفاضا يتيح للمشتغلين والمتحايلين على القانون مجالا فسيحا .. هو في واقع الأمر ضيق غاية الضيق ، مع العقيدة الصالحة ، مانع كل استغلال للمال ، والسعي في الاستكثار منه ولو عن طريق حلال ، داع إلى سد حاجات المجتمع ، وإلى مكافحة الفقر ، وسد المنافذ إليه .

---

(١) سورة التوبة (١١) . (٢) البينة — (٥) .

(٣) النـور — ٣٣ . (٤) الحديد — ٧ .
(٥) آل عمران — ٩٢ . (٦) سبأ — ٣٧ .
(٧) الفرقـان — ٦٧ . (٨) البقـرة — ٢٧٥ .

وإلى جانب هذه المبادىء ، قواعد تمليها العقيدة وترتفع بها إلى مستوى القانون الملزم .. منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( أي أهل عرصة أصبح فيها أمروٴ جائعا ، فقد برئت منهم ذمة الله تعالى ) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : ( ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم ) .

فإذا لم توجد العقيدة الصحيحة ، فقد تساوت الأنظمة المالية كلها فيما تتيحه من الاستغلال السيء للمال . **أما مع العقيدة الصالحة ، ذات المبادىء الواضحة – كشريعة الإسلام – فقد أمكن سن الشرائع المنظمة للمال ، المقيدة له ، المانعة من تملك أنواع منه . كما وضعت الأسس التي تحدد حق الله في المال .. وكانت من عدة وجوه .**

أولها : في المعيار الذي يلزم الإنسان به نفسه في تقدير نفقاته الخاصة ..

وثانيها : في وسائل تحصيل المال وتنميته .

وثالثها : في تحديد ما يوٴخذ لصالحه من أموال الأفراد ، كالزكاة . والإنفاق في سبيل الله .

**فيما يتصل بالوجه الأول :** فقد جاء قول الحق في تحديد هذا المعيار : « **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولاتبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا** » (٩) .. كما جاء في هذا الشأن أيضاً – عند وصف عباد الرحمن ، وهم المتقون المؤمنون .. « **.. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما** » .

فإذا خرج الإنفـــاق عن حدّ القوام ( وهو الوسط ، كان إما إلى الشح والبخل ، وإما إلى التبذير والإسراف .

**الوجه الثاني : وفيه تمتد رعاية جانب الله في المال إلى وسائل تحصيله وتنميته** .. لأن حق الله في المال كل ّ لا يتبعض ، فلا يجوز أن يكون معيار الإنفاق الشخصي سليما ، في حدود الاعتدال ، ثم تكون وسائل تحصيله وتنميته ضارة بالاعتبار البشري ، وقائمة على إهدار الكرامة الإنسانية .

ولذا فذكر الله في كل شأن مالي ضرورة يمليهـــا منطق ملكية الله للمال أصلا .. وإذا كان حق الله في المال هو لمصلحة الجماعة الإسلامية عامة ، ولتغطية حاجات المحتاجين فيها ، فمن المحرم قطعا أن تكون وسائل السعي إلى إنمائه على حساب المصلحة العامة ، أو على حساب المحتاجين . ومن هنا كان الربا حراما ، وأكل مال اليتيم حراما ، وأكل أموال الناس بالباطل عن طريق الرشوة للحاكم حراما ، وعدم إيفاء الكيل والميزان حراما .

– **ويلحق بالربا** كل ربح أو ثمرة جاءت نتيجة لعدم بذل أي جهد بشري من جانب ، واستغلال ضعف ذي الحاجة الملحة من جانب آخر .

– **ويلحق بأكل مال اليتيم :** كل ما جاء ربحا لاستغلال عاجز عن مباشرة المال في حفظه أو إنمائه ، وعاجز عن مقاومة من تحت يده المال .

– **ويلحق بعدم إيفاء الكيل والميزان :** كل ما يتعلق بقوت الأفراد ومعاشهم الأساسي مما يسبب لهم ضررا أو حرمانا .

( ٩ ) سورة الاسراء – ٢٩ .

فهذه صور من الوسائل المحرمة التي انعدمت فيها رعاية حق الله في المال ، تكشف عن قاعدة أساسية يرد إليها الأمر في حله وحرمته ، وهي : كل ما يحفظ للضعفاء حقهم في المال ، وحقهم في تجنب الأضرار والإيذاء ، وحقهم في الاعتبار الإنساني ، فهو حلال روعي فيه حق الله ، وكل ما خلا من ذلك فهو حرام لم تتوفر فيه رعاية جانب الله .

**– الوجه الثالث : وفيه تستمر رعاية جانب الله في المال ، إلى تحديد حق الله ، ومقدار ما يوٴخذ لصالحه من أموال الأفراد .**

والإسلام – كأساس من أسسه – ينفر من الإكراه الخارجي ، ومن إلزام الإنسان من غيره بشيء يوٴذيه ويوٴثر أن يكون عمل الإنسان ترجمة لاختياره ووفقا لإرادته ، وأن يكون بوحي ضميره ، ومن واقع ذاته . ولا يوٴجر الإنسان من الله عن عمل له ، إلا إذا كان قد قصد إلى هذا العمل ، وجاء نتيجة الإيمـــان به . **( قل انفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ، إنكم كنتم قوما فاسقين ) ، ( وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ) ، ( ولا ينفقون إلا وهم كارهون ) (١٠) .**

ومع إيثار الإسلام للمشيئة في العمل من الإنسان ، فإنه لا يتوانى في فرض الإلزام ، إذا توقف صالح المجتمع الإسلامي عليه ، كانتزاع الأموال من أيدي السفهاء ، وكإعلان العناصر التي بقيت تتعامل بالربا في الجماعة الإسلامية بالحرب من الله ورسوله ، وغير ذلك كثير من الأمثلة التي جاء بها الفقه الإسلامي .

ومن المهم أن نذكر – إنه عن إيثار الإسلام لإرادة الإنسان في العمل دون إكراهه عليه ، **سلك الإسلام طريقين في تمييز حق الله في أموال الأفراد .**

**الطريق الأول :** فرض الزكاة كعبادة .

**أما الطريق الثاني :** فلم يكن بالفرض والتكليف ، وإنما بالحث والنداء والدعوة ، والتوجيه والإقناع .

– فيما يتصل بالطريق الأول – فرض الإسلام الزكاة تأمينا للصالح العام ، ووقاية للمجتمع الإسلامي من أضرار الفاقه والعوز ، وبفرضها يجب على المكلف – صاحب المال – أداوٴها ، فإذا امتنع أكره عليها ولو بمحاربته ، كما فعل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – في حرب الردة .

وفي الوقت نفسه ، جعل الإسلام هذه الزكاة عبادة ، حتى يميل بها إلى المشيئة والذاتية ، ويدفع عنها صورة الإلزام والوجوب في الأداء ، إذ من شأن العبادة أن توٴدى في رضا ، وفي متعة نفسية ، لأن العبادة لا تخرج عن كونها قربى إلى الله .

ومع وضوح معنى العبادة في الزكاة ، فإن هناك أهدافا إنسانية جليلة ، ومثلا أخلاقية رفيعة ، وقيما روحية عليا ، كان الإسلام يقصد إلى تحقيقها وتثبيتها من وراء فريضة الزكاة ، كما نبهت إلى ذلك الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .. كما التفت إلى ذلك كثير من محققي علماء الإسلام .

وحين طبق المسلمون في العصور الأولى شريعة الزكاة ، كما أمر الله ورسوله ، تحققت هذه الأهداف الجليلة ، وبرزت

( ١٠ ) سورة التوبة ٥٣ – ٥٥ .

آثارها في حياة الفرد المسلم ، والمجتمع الإسلامي ماثلة للعيان .

وهذه الأهداف ليست مادية فحسب ، ولا معنوية فحسب ، بل تشمل الجانبين المادي والمعنوي ، وتعنى بالأهداف الروحية والأخلاقية عنايتها بالأهداف الاقتصادية والمالية ، فهذه الأهداف ليست فردية فقط ، ولا اجتماعية فقط ، بل منها ما يعود على الفرد ، سواء كان معطيا للزكاة أم آخذا لها ، ومنها ما يعود على المجتمع الإسلامي وتحقيق أمنه ، وحل مشكلاته .

**• أهداف الزكاة بالنسبة للفرد المسلم :—**

إن الزكاة التي يؤديها الفرد المسلم ، امتثالا لأمر الله ، وإبتغاء لمرضاته ، إنما هي تطهير له من أرجاس الذنوب بعامة ، ومن رجس الشح بخاصة ، ذلك الشح الذميم الذي أحضرته الأنفس ، وأبتلى به الإنسان ، فقد شاء الله أن يغرس في حنايا الإنسان مجموعة من الدوافع النفسية أو الغرائز ، تسوقه سوقا إلى السعي في الأرض وعمارتها ، فكان منها حب التملك ، وحب الذات ، وحب البقاء ، وكان من آثار هذه الغرائز أو النوازع شح الإنسان بما في يده ، وحبه الاستئثار بالخيرات والمنافع دون الناس .

**« وكان الإنسان قتورا » (١١) .. « وأحضرت الأنفس الشح » (١٢) .**

فكان لابد للإنسان المؤمن أن يستعلى على نوازع الأثرة والأنانية في نفسه ، وأن ينتصر على نزعة الشح ببواعث الإيمان ، ولا فلاح له في دنياه أو آخرته . إلا بالانتصار على هذا الشح المقيت .

فالشح آفة خطرة على الفرد وعلى المجتمع ، قد تدفع من أتصف بها إلى الدم فيسفكه ، وإلى الشرف فيدوسه ، وإلى الدين فيبيعه ، وإلى الوطن فيخونه .. ولذا روي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم — أنه جعله أحد المهلكات فقال : ( ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ) (١٣) . وقال الله سبحانه : **« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١٤) .** خطب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : ( أياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا . ) (١٥) .

فالزكاة بهذا المعنى طهرة ، أي تطهر صاحبها من خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله ، وفرحه بإخراجه ، واستبشاره بمصرفه إلى الله تعالى .

والزكاة كما تحقق معنى التطهير للنفس ، تحقق معنى التحرير لها تحريرها من ذل التعلق بالمال والخضوع له ، ومن تعاسة العبودية للدينار والدرهم ، فإن الإسلام يحرص على أن يكون المسلم عبدا لله وحده ، متحررا من الخضوع لأى شيء سواه ، سيداً لكل ما في هذا الكون من عناصر وأشياء .

وأي تعاسة أعظم من أن يجعل الله الإنسان في الأرض خليفة وسيدا ، فإذا هو يعبد نفسه لما عليها من مادة ومال ؟ .. أي تعاسة أعظم من أن يصبح جمع المال هدف الإنسان وأكبر همه ، ومبلغ علمه ، ومحور حياته ، وقد خلق لرسالة أكبر وهدف أسمى ؟

وكما أن الزكاة تطهير لنفس المسلم من الشح ، فهي أيضاً تدريب له على خلق البذل والاعطاء والإنفاق ، فمما لا خلاف فيه بين علماء التربية والأخلاق ، أن للعادة أثرها العميق في خلق الإنسان وسلوكه وتوجيهه ، ولهذا قيل : ( العادة طبيعة ثانية ) ومعنى ذلك أن للعادة من القوة والسلطان ما يقرب من الطبيعة الأولى التي ولد عليها الإنسان .

والمسلم الذي يتعود الإنفاق وإخراج زكاة زرعه كلما حصد ، وزكاة دخله كلما ورد ، وزكاة ماشيته ونقوده وقيم أعيانه التجارية ، كلما حال عليها الحول ، ويخرج زكاة فطره كل عيد من أعياد الفطر .. هذا المسلم يصبح الاعطاء والإنفاق صفة أصيلة من صفاته ، وخلقا عريقا من أخلاقه ، ومن ثم كان هذا الخلق من أوصاف المؤمنين المتقين في نظر القرآن .. كما في قوله تعالى :

**« ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » (١٦) .**

**• دور الزكاة في خدمة المجتمع الإسلامي :**

تعتبر الزكاة الضمان الأول في استمرار المجتمع الإسلامي ، لذلك حرص الإسلام على أن يفصل مصروفها ، وما تنفق فيه ، كي يغطي جميع الجوانب الضرورية في حياة المجتمع بما هو ضروري وأساسي في المحافظة على الكيان الذاتي ، فتذكر آية سورة التوبة : « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم** » .

والتعبير ( بالصدقات ) هنا قصد به الزكاة الواجبة ، بدليل ما جاء في آخر الآية من قوله ( فريضة من الله ) فليس هناك إنفاق فرض على المكلفين المسلمين من أصحاب الأموال .. إلا **الزكاة** .

وفي تفصيل مصرف الزكاة على هذا النحو يلاحظ أن الإسلام إن عني بالفقراء والمساكين ، فقد عني بجوانب أخرى ، لو تركت لكانت هناك ثغرات للضعف في بناء المجتمع الإسلامي نفسه .

— **فالمؤلفة قلوبهم** .. هم الفريق في الجماعة الذي لو ترك وشأن إيمانه — ربما كان شراً على المؤمنين ، ولو أعين ودفع له تحول إلى نفع يفيد منه المجتمع الإسلامي ، فهو هزيل بإيمانه ، قوي في الانتفاع به .

— **والرقاب** .. قصد منها تحرير الأفراد المؤمنين الذين لم يزالوا مسترقين ، ويلحق بهؤلاء المجموعات أو الشعوب المستعمرة في نظام الاستعمار الغربي منذ القرن التاسع عشر ، ووضع الإسلام أهمية على تحرير الأرقاء والمستعمرين من المؤمنين ، يجعله أحد المصارف الضرورية مما يحصل من زكاة المسلمين ، يوضح إلى أي مدى قيمة الفردية والجماعية للإنسان ، كما يفيد أنها لا تقل شأنا واعتبارا عن ملء البطون لأصحاب العوز والحاجة .

— **والغارمون** .. هم أولئك المؤمنون الذين تداينوا بسبب الصالح

( ١١ ) الاسراء — ١٠٠ . ( ١٢ ) النساء — ١٢٨ .
( ١٣ ) رواه الطبراني في الأوسط . ( ١٤ ) الحشر — ٩ .
( ١٥ ) أخرجه أبو داود والنسائي .

( ١٦ ) البقرة ١ — ٢ .

العام ، أو أدوا خدمات تجاوزت أموالهم ، أو الذين تداينوا بسبب كارثة أو نكبة ، ومثلهم الذين يتعرضون لترك أموالهم وممتلكاتهم تحت ضغط العدو أو اضطهاده .

— **وفي سبيل الله** .. هو محض الصالح العام الذي لا تفيد منه طبقة معينة أو مجموعة خاصة من الأفراد ، وإنما نفعه يعود على الأمة الإسلامية كلها ، كتقوية الجيوش ، وتحصين الحدود ، وبناء المصانع والسدود ، والدعوة إلى المبادىء الإسلامية ، التي يقوم عليها المجتمع في داخله أو في خارجه .

وتتضح هنا حقيقة هامة ، وهي أن من هذه الأهداف ، ما له صبغة دينية سياسية ، لأنه يتصل بالإسلام بوصفه دينا ودولة ، وذلك ما يشير إليه سهما ( المؤلفة قلوبهم ) ، ( وفي سبيل الله ) .

إن هذين المصرفين يقتضيان أن تكون لهذا الدين جماعة ودولة ، تجمع الزكوات من أربابها بواسطة ( العاملين عليها ) ثم تنفق منها على نشر دعوته ، وإعلاء كلمته ، والدفاع عن حوزته ، وذلك بتأليف القلوب عليه ، ودعوة الشعوب إليه ، فإنها دعوة إلى ( سبيل الله ) (١٧) .

وقد اقترن بهذا الجانب : الإيمان بالله في كثير من آيات القرآن العظيم ، ويعتبر الشعار الواضح للإسلام . من ذلك قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (١٨)** . وفي حديث القرآن عن المؤمنين ، كثيرا ما يجعل الإنفاق في سبيل الله جزءا من استحقاقهم وصف المؤمنين ، **« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون »** .

إن اقتران الإنفاق في سبيل الله — بالإيمان بالله ، وجعلهما عنصرين متكافئين في تقييم الإنسان ، يثير مدى إهتمام الإسلام بالصالح العام في المجتمع الإسلامي ، كما يفيد من جانب آخر — أن المصارف الأخرى التي عددتها آية الزكاة السابقة ، مع مصرف ( سبيل الله ) قصد من تغطيتها إغلاق جميع نوافذ الضعف في بناء المجتمع الإسلامي ، وهي نوافذ الحقد والسخط البشري ، التي توجد بين الأفراد ، أو بعض الطوائف والمجموعات .

— إن الزكاة جزء من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ، ذلك التكافل الذي لم يعرفه الغرب إلا في دائرة ضيقة ، هي التكافل المعيشي ، بمساعدة الفئات العاجزة والفقيرة .. عرفه الإسلام في دائرة أعمق وأوسع ، بحيث يشمل جوانب الحياة المادية والمعنوية ، فهناك التكافل الأدبي ، والتكافل العلمي ، والتكافل السياسي ، والتكافل الدفاعي ، والتكافل الجنائي ، والتكافل الأخلاقي ، والتكافل الاقتصادي ، والتكافل العبادي ، والتكافل الحضاري ، وأخيرا التكافل المعيشي ، وهو الذي خصص اليوم خطأ بإسم التكافل الاجتماعي .

التكافل الاجتماعي — وإن كان يرتبط ارتباطا وثيقا بالزكاة ، إلا أنه — كما يقول الدكتور القرضاوي (١٩) — نظام أشمل وأوسع كثيرا من الزكاة ، لأنه يتمثل في عدة خطوط تشمل فروع الحياة كلها ، ونواحي الارتباطات البشرية جميعا ، والزكاة خط واحد من هذه الخطوط وهي تشمل ما يسمى الآن : ( بالتأمين الاجتماعي ) و ( الضمان الاجتماعي ) مجتمعين .

والفرق بين التأمين والضمان ، أن كل فرد في التأمين يؤدي قسطا من دخله في نظير تأمينه عند عجزه الدائم أو المؤقت .أما في الضمان — فإن الدولة هي التي تقوم بها من ميزانيتها العامة بدون أن يشترك أفراد المجتمع بأداء قسط معين ، وإن كثيرا ممن يؤدون الزكاة في عام ، قد يكونون في العام التالي مستحقين للزكاة بنقص ما في أيديهم عن الوفاء بحاجاتهم ، أو حلول كوارث جعلتهم يستدينون على أنفسهم وعيالهم . فالزكاة من هذه الناحية تأمين اجتماعي .

وهناك آخرون لم يكونوا ممن وجبت عليهم الزكاة من قبل ، ولم يساهم بشيء في حصيلة الزكاة ولكنه يستحقها لفقره وحاجته ، فهي من هذه الناحية ضمان اجتماعي (٢٠) .

بيد أن الزكاة في الواقع أقرب إلى الضمان منها إلى التأمين ، لأنها لا تعطي الفرد بمقدار ما دفع كما هو الشأن في نظام التأمين ، وإنما تعطيه بمقدار ما يحتاج إليه ، قلّ ذلك أو كثُر .

إن الزكاة بذلك تعد أول تشريع منظم في سبيل ضمان اجتماعي ، لا يعتمد على الصدقات الفردية التطوعية ، بل يقوم على مساعدات حكومية دورية منتظمة ، مساعدات غايتها تحقيق الكفاية لكل محتاج في المجتمع ، الكفاية في المطعم والملبس والمسكن وسائر الحاجات ، لنفس الشخص ، ولمن يعوله في غير إسراف ولا تقتير . لذلك — فان الزكاة في الإسلام — تسد كل ما يتصور من أنواع الحاجات الناشئة عن العجز الفردي أو الخلل الاجتماعي ، أو الظروف العارضة التي لا يسلم من تأثير بشر .

**يقول الإمام الزهري لعمر بن عبد العزيز عن مواضع السنة في الزكاة :** ( إن فيها نصيبا للزمني والمقعدين ونصيبا لكل مسكين به عاهة لا يستطيع عليه ولا تقلبا في الأرض . ونصيبا للمساكين الذين يسألون ويستطعمون ( أي حتى يأخذون كفايتهم ولا يحتاجون بعدها إلى السؤال ) ، ونصيبا لمن في السجون من أهل الإسلام ، ممن ليس له أحد ، ونصيبا لمن يحضر المساجد من المساكين الذين لا عطاء لهم ولا سهم ( أي ليس لهم رواتب ولا معاشات منتظمة ولا يسألون الناس ) ، ونصيبا لمن أصابه فقر وعليه دين ، ولم يكن شيء منه في معصية الله ، ونصيبا لكل مسافر ليس له مأوى ، ولا أهل يأوى إليهم ، فيؤدى ويطعم وتعلف دابته حتى يجد منزلا أو يقضي حاجة ) (٢١) ..

فهي ضمان شامل لكل أصناف المحتاجين ، وكل حاجاتهم المختلفة بدنية ونفسية وعقلية .

— وفوق ذلك كله — فإن للزكاة أهدافها وآثارها في تحقيق المثل العليا التي تعيش لها الأمة الإسلامية ، وتعيش بها ، وفي رعاية

---

( ١٧ ) د . يوسف القرضاوي : فقه الزكاة ٢ /٨٧٩ طبع مؤسسة الرسالة بيروت .
( ١٨ ) الصف — ١٠ .
( ١٩ ) فقه الزكاة ٢ /٨٨٠ .
( ٢٠ ) سيد قطب : في ظلال القرآن ١٠ /٨١ .
( ٢١ ) الأمـــوال ص/٥٧٨ .

مقوماتها الروحية التي يقوم عليها بناؤها ، ويبنى كيانها ، وتتميز شخصيتها ..

والأمة – كما يقول الأستاذ البهي الخولي – بمقوماتها الروحية ، لا بمقوماتها الحسية فحسب ، بل إن المقومات الحسية لا قيمة لها في بناء الأمة ، ودعم كيانها بدون المقومات الروحية ، لذا نرى الإسلام يحفل بها ، ويجعل الإنفاق من مال الجماعة على رعايتها ودعمها فريضة لازمة ، فهي للكيان المعنوي كالشراب والطعام للكيان الحسي ، **وقد أصل الإسلام تلك المقومات الروحية في ثلاثة أصول** أشارت إليها آية مصارف الزكاة .

**الأصل الأول :** توفير الحرية لكافة أفراد المجتمع ، ولكنه في هذا المقام ينص على فريضة فك الرقاب ، أي تحرير الأرقاء من ذل العبودية ، وذلك أول ما عرفت الإنسانية قاطبة من سمو التشريع في تحرير الأرقاء ، أن يجعل تحريرهم فريضة على المسلمين ، بسهم من أموالهم مقرر ، وقد جاء هذا الحق في آية الزكاة في قوله تعالى **( وفي الرقاب ) .**

– **والأصل الثاني :** بعث همم الأفراد ، ومواهب المروءة فيهم إلى بذل المكرمات التي تحقق للمجتمع الإسلامي منافع أدبية أو حسية ، أو ترد عنه مكروها يوشك أن يقع . ذلك أن في الأفراد طاقات لا حدّ لها في حب الخير ، والاستعداد لمختلف الخدمات الاجتماعية ، وهي كمواهب العقل ، لم يخلقها الله سدى ، بل خلقها لتحقق ذاتها ، وتؤدي وظيفتها في الحياة ، فإن تشجيع مواهب المروءة الفطرية في الأفراد أحق وأولى ، لا لثمارها وما تبدع من مثل كريمة في الحياة فحسب ، بل لأنها أيضاً هي السبيل الذي يعد لنا الرجال ذوى القيم ، ويخرج للأمة ثروتها الأساسية من النفوس السامية الكريمة ، فإنه ليس أفضل من فعل الخير إلا النفس التي فعلته ، والنية التي بعثته . والأمة التي تعنى بهذا الطراز ، تعنى بأسباب القوة ودعامات المجد كله ، وكفاها شرفا وأهلية للحياة ما تشيع من عزائم الخير ، بل كفاها برا بالحق وبالحياة وبنفسها أنها تستخرج من مناجم النفوس والفطر أثمن كنوزها ، وأشرف معادنها ، وتهب للحياة أشرف معانيها ، وترقي بالإنسانية إلى أكرم قيمها وذلك هو المثل الأعلى ، الذي أراده الله للإنسانية وللحياة .

– **والأصل الثالث :** رعاية العقائد والتعاليم التي نزلت لتزكية مبادىء الفطرة في الإنسان ، وبخاصة إحكام الصلة بالله ، وتبصير الفرد بغايته من الحياة ، وبطوره الأخروى ، الذي هو صائر إليه ، ولابد بحكم تطوره في مراحل الأزل ، وهو ما جاء في الآية نفسها **( وفي سبيل الله ) (٢٢) .**

وبرعاية هذه الأصول الثلاثة تكون الزكاة قد قامت بدورها في تثبيت القيم العليا ، والمقومات المعنوية الأصيلة ، التي يحرص عليها المجتمع الإسلامي بل يقوم عليها كيانه ، وبهذا يتحقق التكافل والتساند في الحياة الإسلامية ، وفي كافة النظم الإسلامية . فالزكاة وإن كانت نظاما ماليا في الظاهر ، فهي لا تنفصل عن العقيدة ، ولا عن العبادة ، ولا عن القيم والأخلاق ، ولا عن السياسة والجهاد ، ولا عن مشكلات الفرد والمجتمع ، والحياة والأحياء .

( ٢٢ ) الإشتراكية في المجتمع الإسلامي ص ١٤١ – ١٤٤ .

بقي أن نذكر **الطريق الثاني ، الذي سلكه الإسلام في تمييز حق الله في أموال الأفراد ، وهو الطريق الذي لا يقوم على الفرض والتكليف – كما ذكرنا – وإنما يعتمد على النداء والدعوة ، والتوجيه** والاقناع .. أو قل على الحث على الإنفاق .

ويكاد يكون موضوع الحث على الإنفاق في سبيل الله – عدا الزكاة – معادلا في أسلوب القرآن وآياته للحث على الإيمان بالله ، حتى يصبح المؤمن آخذا في مفهوم إيمانه – الإنفاق في سبيل الله كجزء لا يتجزأ من إيمانه ومن تصديقه .

والأسلوب القرآني في النداء والدعوة والتوجيه نحو الإنفاق الاختياري يعتمد على الترغيب ، كما يركن إلى التحذير والترهيب .

كقوله تعالى مرغبا : « **ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » (٢٣)** ، وكقوله سبحانه : « **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم » (٢٤)** ، وكقوله محذرا ومنذراً : « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٢٥) .** وقوله جل وعلا : « **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » (٤) .**

والتحذير هنا – ينصب على عدم الإنفاق العام ، بدليل ما يذكر من جملة **( في سبيل الله )** في كل آية تضمنت تحذيرا مباشرا أو غير مباشر .

وبلغ من أثر النداء والتوجيه القرآني والاقناع بالإنفاق العام ، والترغيب فيه بحيث أصبح في منزلته مساويا للإيمان بالله على النفوس ، إن سأل بعض المؤمنين عن مقدار ما ينفق في سبيل الله ، أو وراء الزكاة ، فكان قوله تعالى : « **ويسألونك ماذا ينفقون » (٢٧ ..** وكان الجواب : « **قل العفو ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون »** . والعفو في المال ، هو الزائد عن حاجة الإنسان ، وحاجة من يعوله وتجب عليه نفقته .

وطالما إن الإنفاق في سبيل الله وراء الزكاة ، يتبع اختيار الإنسان ودرجته في الإيمان ، فليس هناك مقياس معين للعفو في المال ، وليس هناك مقياس يصح الإختلاف فيه ، إذ ليس هناك مكان للإختلاف ، لأنه ليس هناك مكان قبل ذلك للطلب والإلزام .. والأمر موكول إلى إيمان المؤمن ، وإلى تقديره الخاص ، وإلى مقدار تقربه من الله ، وأمله في رضاه .

وكلما كانت الدعوة إلى الله قوية والإيمان به قويا ، كان المؤمن أكثر تفاعلا ، وأوسع إنفاقا بماله ، وأشد استعدادا للتضحية بماله ونفسه وبأولاده في سبيل الله ، وكلما ركدت الدعوة ، وخف الإيمان في القلوب ، عاش الإنسان في انفصالية بين دينه وبين سلوكه في الحياة ، وبين مجتمعه ☐

**د. احمد جمال العمري – القاهرة**

( ٢٣ ) البقرة – ٢٦٥ . ( ٢٤ ) الحديد ١١ .
( ٢٥ ) آل عمران – ١٨٠ . ( ٢٦ ) البقرة – ١٩٥ .
( ٢٧ ) البقرة – ٢١٦ .

# عبد الله بن إدريس

إعداد: علي الرميحي

عبد الله بن إدريس واحد ممن ساهموا في تنشيط الحركة الأدبية المحلية ولقد هيأت له الظروف أن يقوم بدور فعال في العديد من مجالاتها المناسبة. فعمل رئيساً لتحرير جريدة «الدعوة»، وشارك بالكتابة النقدية في الصحف وقدم كتاب «شعراء نجد المعاصرون» ووقف مع الشعر الحديث ضد محاربيه أحياناً، وتقلد مهام ومناصب أخرى لعلنا نلقي الضوء على هذه الرحلة الحافلة بالحياة والنشاط من خلال هذا اللقاء.



■ **نرجو أن تحدثنا عن تجربتك العملية والثقافية عبر مسيرة حياتك الحافلة بالعمل والكتابة؟**

□ بدأت رحلتي مع الحياة عام ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠م حيث ولدت في بلدة «حرمه» من مقاطعة سدير، وتلقيت علومي الأولية في مدرسة البلدة ثم سافرت إلى الرياض وتتلمذت على يدي المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله. وفي عام ١٣٦٩هـ، عينت مدرسا بالمدرسة الفيصلية بالرياض ثم التحقت بعد ذلك بالمعهد العلمي بالرياض ثم بكلية الشريعة بالرياض، وبعد تخرجي عينت مفتشا فنيا على المعاهد العلمية. ومن ثم أعيرت خدماتي إلى وزارة المعارف كمدير للتعليم الفني بالوزارة.

وفي مطلع عام ١٣٨٥ هـ، أعيرت خدماتي إلى «مؤسسة الدعوة الصحفية»، حيث أصبحت رئيسا لتحرير جريدة «الدعوة» لمدة سبع سنين. وفي عام ١٣٩٦ هـ، انتقلت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود حيث أعمل حتى الآن مديرا للثقافة والنشر العلمي. وأصبحت عضوا في كل من مجلس إدارة «دارة الملك عبد العزيز» وعضوا في هيئة تحرير مجلة الدارة، وعضوا في المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب، وعضوا في مجلس إدارة النادي الأدبي بالرياض.

ولقد نشرت عددا من البحوث والدراسات والمحاضرات في المجلات والصحف والمحلية، وأصدرت كتابي «شعراء نجد المعاصرون»، وأنوي طبع ديوان شعري، كما أنني قد شاركت في مهرجانات أدبية دولية كمهرجان أبي تمام في سوريا عام ١٣٨٣ هـ، ومؤتمر الأدباء العاشر، ومهرجان الشعر العربي الثاني بالجزائر عام ١٣٩٥ هـ، ومهرجان «المربد» بالبصرة ثم بغداد عام ١٣٩٤ هـ.

■ **هل لنا أن نسمع شيئا عن تجربتك أو مساهمتك في الصحافة؟**

□ مساهمتي في الصحافة كانت في أول الأمر، ولمدة خمسة عشر عاما، تتمثل في الكتابة الأدبية، أي بنشر قصائدي ومقالاتي في الصحف والمجلات المحلية. ثم بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية، أعيرت خدماتي «لمؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية»، فانتقلت إليها في غرة عام ١٣٨٥ هـ، وقمت بتأسيس وإصدار صحيفة «الدعوة» الأسبوعية التي مازالت تصدر حتى اليوم، وقد تحولت إلى مجلة منذ سنوات. وبذلك أصبحت رئيسا لتحرير صحيفة الدعوة، ثم مديرا عاما للمؤسسة الى جانب رئاسة التحرير منذ مطلع عام ١٣٨٥ هـ حتى نهاية عام ١٣٩١ هـ.

وقد وضعت خطة لهذه الصحيفة تجعلها مقروءة من الجميع، وتتمثل تلك الخطة في أن أجعل الصحيفة منفتحة الآفاق والمنطلقات، تعنى في الدرجة الأولى بنشر الثقافة الإسلامية. وتوعية المجتمعات الإسلامية توعية صحيحة بعيدة عن الإفراط أو التفريط. كما تعنى الصحيفة بالتثقيف الحي الذي يتفق مع روح الإسلام في السياسة والاجتماع والأدب والاقتصاد وحتى الرياضة وغيرها.

■ **نود أن نعرف القاريء، بدورك وتجربتك عند عودتك إلى وزارة المعارف وتسلمك مسئولية «المجلس الأعلى للآداب والفنون»؟**

□ بعد أن تمت مدة إعارة خدماتي لمؤسسة الدعوة، عدت إلى وزارة المعارف .. حيث أسندت إلى مهمة عمل في «المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب»، فأصبحت أمينا عاما له حيث أعددت له نظاما يتضمن صلاحياته وممارساته ويتيح له أن يخدم الحياة الأدبية والعلمية في المملكة خدمة ايجابية. وقد صدرت الموافقة السامية عليه بمرسوم ملكي. وقد اشتمل هذا النظام على لوائح داخلية ومالية، كما أدخلت عليه تعديلات بحيث تبقيه قسما من الوزارة، لا هيئة مستقلة، وجعل تصرفه في وضع اللائحة المالية مربوطا بوزارة المالية. إلا أن هذا المشروع قد جمد لأسباب لا أعرفها.

■ **هل في وسعك أن تعطينا فكرة عما قدمه كتابك «شعراء نجد المعاصرون» للحياة الثقافية المعاصرة ؟**

□ لا أستطيع أن أقول عن كتابي «شعراء نجد المعاصرون» أكثر مما قال عنه كبار الكتاب والنقاد في العالم العربي ومنهم — على سبيل المثال — الدكتور محمد مندور، وعباس محمود العقاد، وعائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء»، والدكتور زكي المحاسني، والدكتور قسطنطين زريق، والدكتور عبد السلام العجيلي، والدكتور علي جواد الطاهر، والدكتوره سلمى خضراء الجيوسي، والشعراء سليمان العيسى، وفؤاد الخشن، وسعود عبيس، والبير أديب، ومحمد حسن عواد، وأحمد إبراهيم الغزاوي، وحسين سرحان، ومحمد علي السنوسي، وعشرات غيرهم. ومما قاله هؤلاء الأدباء والشعراء عن كتابي هذا: إن له فضل السبق والريادة حيث لم يؤلف قبله كتاب عن الشعر في نجد على الاطلاق. كما قدم دراسة مركزة عن الشعر في نجد في القديم والحديث، وعوامل تطور الشعر فيها واتجاهاته ومنطلقاته في العصر الحديث بطريقة مبتكرة ونظريات جديدة.

وقد جاءت اختياراتي للنماذج الشعرية على مستوى رفيع من الدراية والذوق الفني، فلم أحشر فيه كل ما هب ودب كما فعل الذين جاءوا من بعدي وحاولوا أن يقلدوا عملي لأنهم لا يملكون الأدوات الفنية الأدبية لهذا العمل من عمق الثقافة وفهم قواعد النقد الأدبي.

■ **ما هي سمات التطور في أدبنا الحالي مقارنة بأدب جيل الرواد ؟**

□ من طبيعة الحياة أن كل جيل يأتي يتوهم أنه أحسن وأكمل وأنضج من الجيل الذى سبقه، ذلك أن البداية والتي قد تستمر سنين طويلة — ومع ذلك تسمى بداية — تمثل مراهقة أدبية سواء في الشعر أو في القصة أو في النقد الأدبي أو في المقالة العامة غير المتخصصة وكلنا يدرك نفسية المراهق وعليته، فإنتاج الشباب قبل مرحلة النضوج غالبا ما يتسم بالبحث عن الغريب، وكل ما يلفت النظر إليه حتى ولو بالاستهجان والاستخفاف .. وإذا ما أخذنا هذا الواقع في الاعتبار وجب علينا أن نتلمس الجوانب المشرقة في أدب الشباب .. وأننا لواجدون فيه حتما ما يبشر بخير ويرهص بعطاء أجود .. ولعل من أبرز سمات التطور في أدبنا الحالي مقارنة بأدب بعض جيل الرواد:

- التجديد في الأسلوب عن طريق استخدام اللغة استخداما حديثا لا يغير الألفاظ ولكنه يستخدمها بطرق أكثر جدة من ذي قبل. بينما بعض جيل الرواد يبقي على الاستعمالات المعجمية كما هي، دونما تجديد في طرق بنائها واستخدامها.
- بروز الصورة في أدبنا الحديث عند أدباء الشباب الناضجين خلافا لبعض الجيل الرائد الذي تختلط في أدبه الصور والألوان.
- استخدام الأدباء الشباب الأسطورة — خاصة في الشعر — وهذا تقليد واضح منهم لشعراء سبقوهم بذلك كالشاعر العراقي «بدر شاكر السياب». وأنا استهجن هذه السمة لأنها ليست من طبيعة بيئتنا. والأدب يجب أن يكون صورة صادقة لواقع البيئة والمجتمع.
- والسمة الأكثر تمييزا لأدب الشباب عن أدب الجيل الرائد هي سمة الغموض، والأدباء الشباب عندنا يقلدون زعيم الردة الأدبية «علي أحمد سعيد (أدونيس)». ودوافع هذا المرتد كدوافع سعيد عقل في مناداته استخدام اللغة العامية اللبنانية بدل الفصحى.
- معظم أدب الشباب في الشعر والقصة لا طعم له ولا لون، وإن كانت له رائحة وهي رائحة التأثر بنظريات الإنسلاخ من قيمنا الفنية الأصيلة وبخاصة في الشعر، وهي التي يقف داعيا إليها محمد الماغوط، الذي فقد أية موهبة شعرية مع تهالكه عليها .. فذهب يدعو إلى ما يسميه قصيدة النثر.

وقد سلم جيل الرواد من أغلب هذه الرقاعات — إن صح جمع رقاعة «بفتح الراء» على رقاعات — وهي نوع من خفة العقل وضعفه.

وليس معنى هذا أن إنتاج جيل الرواد جميعه أجود وأجمل من إنتاج الشباب ... كلا، ولكنه أفضل من إنتاج كثير من الشباب في الجملة .. والسبب في هذا أن إنتاج الرواد ومن في حكمهم يعبر عن أحاسيس ومشاعر النفس العربية، ويبرز البيئة ويعالج مشاكل المجتمع بل ومشاكل المعاناة في العالم حيث يعايشها ويعاني ما يعانيه أولئك المضطهدون والمظلومون .. أما شعر بعض الشباب فليس أكثر من تهاويم و «هلوسات» المحمومين ...

■ **فيما تبرز سمتا الأصالة والمعاصرة في أدبنا المحلي ؟**

□ الأصالة والمعاصرة سمتان لابد من ترادفهما في أي عمل أدبي ناجح، وهما بارزتان بوضوح في أدبنا المحلي .. إذ لا يستطيع من يقرأ الجيد من أدبنا أن ينكر هاتين السمتين فيه. وأنه يجمع بين الأصالة المستمدة من تراثنا وقيمنا العريقة والمعاصرة المتفتحة على كل جديد في حياة هذا العصر .. وذلك في المضمون والشكل معا.

■ **ما رأيك في شعرنا الحديث إلى أين يسير ؟ وهل يؤثر عمر الشاعر على إستمرار عطائه ؟**

□ شعرنا الحديث ينقسم، في رأيي وتصوري إلى نوعين: نوع يعتمد القصيدة العمودية أو التفعيلية كوحدة موسيقية في الشكل البنائي ويتشح المضمون غلالة شفيفة من الغموض لا تمنع من معرفة الهدف أو الغرض الذي يرمي إليه الشاعر ولكنها لا تعطيه ذلك مباشرة .. وهذا هو النوع الجيد في شعرنا.

أما النوع الثاني فهو ما أشرت إليه سابقا .. وهو ما يتسم بالغموض الشديد، ولا يقوم على تفعيلة موحدة، أو غير ملتزم بالتفعيلة دائما ولا بالقافية، فهذا هو النوع الرديء الذي لن يفيد منتجه ولا المجتمع الذي ينتمي إليه منتجه، أما ما يسمى بالشعر المنثور أو القصيدة النثرية فهذا شيء لا يعتد به كشيء له علاقة بالشعر.



فالشعر شعر والنثر نثر ولكل منهما معاييره وفنونه .

أعتقد أن كتابة الشعر ليس لها علاقة بعمر الإنسان .. وقد حفظ لنا التاريخ مئات الشعراء الذين بلغوا من الكبر عتيا . ومع ذلك بقوا على مقدرة فائقة في نظم الشعر .. لكن له علاقة بصحة الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية . فاذا توافرت لدى الشاعر هذه القوى إضافة إلى الوقت الكافي والدوافع والحوافز القوية كالحرية . فإنه يستطيع الاستمرار في نظم الشعر وإنتاجه . مهمـــا بلغ من العمر . وقد يكون للشباب . ولا ريب . ميزة وحرارة الانفعال وقوة التدفق والعطاء .. لكنني لا أراه مرحلة إبداع .

**■ أصبـــح كتـــابك « شــعراء نجــد المعاصرون » مرجعا لدارس الأدب السعودي ، فما هي في رأيك الميزة التي يتمتع بها الكتاب من جهة ؟ وما هي أهم مصادر دراسة أدبنا المحلي منذ ٥٠ عاما ؟ وهل هناك إضافة جديدة إلى كتابك كجزء آخر له ؟**

□ ربمـــا كانت أهم ميزات هذا الكتـــاب أنني ألفته وأنا أشعر بالاحتراق الداخلي في نفسي وبما يجب أن يسهم به شعرنا في تقدمنا وتطورنا الحضاري وخدمة ديننا ووطننا وأمتنا . وذلك ناشىء من خلال الدراسة التي جعلتها القسم الأول من الكتـــاب ثم من القصائد التي نجحت — والحمد لله — في اختيارها والتركيز عليها كنماذج مشرقة لشعرنا المعاصر وأسباب أخرى أتذكر أنني أشرت إليها في جواب سابق أيضاً .

أما عن الشق الأخير من السؤال فجوابي : نعم . إن شاء الله تعالى . وربما لا يكون جزء آخر وإنما كتاب شامل للشعر والشعراء في المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري المنصرم .

**■ هنـــاك من يستشف الاقليميـــة في عنوان كتابك « شعراء نجد المعاصرون » ، بينما نرى من يرفع صوته لدراسة أدبنا ككل فما هو رأيك ؟**

□ لو قيـــل عني أي شيء غير الاقليميـــة لكان ذلك جائزا وممكن الحدوث . أما الاقليمية فإني أمقتها . لأنني اعتبرها من عوامل التفرقة وتشتيت قوى المجتمع . وكتاباتي طوال ثلاثين عاما تشهد بذلك . فكيف يحبذ الاقليمية من يدعو للوحدة الشاملة ؟

ولكن من أين استشففتم هذه الاقليمية ؟ هل من عنوان كتابي « شعراء نجد المعاصرون » ولماذا لم توجه تهمة الاقليمية — مثلا — إلى الأستاذ عبد السلام الساسي الذي أصدر كتابه « شعراء الحجاز في العصر الحديث » قبلي بسنوات ؟ وإلى الأستاذ عبد الله عبد الجبار في كتابه « قصة الأدب في الحجاز » ؟ وقبلهما الشيخ محمد سرور الصبان — رحمه الله — والأستاذ إبراهيم فلالي وغيرهم كثير ألفوا كتبا عن منطقة واحدة هي أصغر بكثير من منطقة نجد مساحة واتساع رقعة .. ولم يتحدثوا أو يشيروا إلى الأدب في نجد على أية صورة كانت . ولم يكن هذا سببا يدفعني لإصدار كتابي عن نجد بل إنني وجدتها جديرة بذلك وخصوصا في دنيا الشعر في العصور القديمة . وبدأت تسترجع شيئا من أدوارها في العصر الحديث . ولكي تصل حلقات الأدب العربي بعضها ببعض وعن جميع أرجاء الجزيرة العربية التي آلت عنها ماعدا نجد . قمت بتأليف كتابي المذكور مساهمة في الدعوة إلى الوحدة العربية من خلال التعارف المتبادل على فكر وأدب جميع الأقطار والبيئات العربية . لا اقليمية في ذلك على الاطلاق خاصة بعد أن وجدت المؤلفات الأدبية عن اقليمي الحجاز والمنطقة الشرقية فبقيت نجد في الوسط الضائع في قلب الجزيرة العربية . فقمت بجهدي المتواضع لسد هذا النقص ... والحمد لله .

أما رفع الصوت والمناداة بدراسة الحركة الأدبية في المملكة بوجه عـام شيء وارد في الأذهان .. وما التأليف عن الأقاليم والمناطق إلا جزء من كل .. بالنسبة لي ولغيري .. فأنا ، إن شاء الله . سأقوم بتأليف كتاب عن « الشعر والشعراء في قلب الجزيرة العربية » خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري . وقد كتبت فصولا منه حتى الآن ... وأســأل الله أن يعينني على إتمامه .

**■ أنت أحـــد أعضاء النـــادي الأدبي بالرياض ، وتلمس باستمرار ما يواجه النادي في أداء مهمته ، وتسمع عن نشاطه الذي يكاد ينحصر في مجال النشر ، فما هو تقويمك لهذا النادي من حيث نشاطه وما ترى أنه يجب الأخذ به وتجنب ما ليس من مهام هذا النادي ؟**

لا شك عندي أن الأنديـــة الأدبية قد أسهمت مساهمة ملموسة في الحركة الأدبية في المملكة .. ولو لم يكن لها من فضل إلا أنها نشرت عشرات الكتب الأدبية ما بين شعر وقصة وبحث ومقالة . وعقدت عشرات الندوات . وألقي فيها الكثير من المحاضرات . لكان ذلك كافياً للتدليل على جدواها . ولكنني أقول بصراحة أن هذا أقل بكثير مما نؤمله منها .. والأسباب التي تجعل جدواهـــا ونفعهـــا محدودة كثيرة أهمهـــا :

- ضعف إمكاناتها الماديـــة بينما الجانب الرياضي ينال رعاية وإمكانات مادية ضخمة من قبل الدولة .
- أعضاء مجالس إدارات الأندية الأدبية ليسوا كلهم على المستوى الذي يفرض احترامه على جمهرة الأدباء ورجال الفكر .. لذلك لم تكن الاستجابة لهم على المستوى المطلوب .
- عدم وجود مقرات ثابتة لهذه الأندية ما عدا نادي مكة . جعلها عاجزة عن استقطاب الأدباء وجعلهـــا مرتادا لهم . وهناك أسباب أخرى عديدة .
- وأرى العلاج لهذا في أن أعود إلى اقتراح سبق أن طرحته منذ حوالي عشرين سنة ثم تبناه عدد من الأدباء وهو يتلخص في تكوين « رابطة للأدباء » . فهي أجدى وأنفع من الأندية الأدبية . وربما تكون هذه الأندية هي النواة لتكوين هذه الرابطة □

# التَّصْنِيفُ الصَّوْتِي لِلحُرُوف فِي كِتَابِ سِيبَوَيْه ٣

بقلم: الأستاذ إبراهيم الشمسان

**الجهر والهمس :**

في الجهر تنطبق الأوتار الصوتية بعد عملية معقدة وتغلق فتحة الحنجرة تماما ، وقد يكون هذا الانطباق قويا يحبس الهواء في الحنجرة ويحدث عند النطق بالهمزة ، وقد لا يكون من القوة بحيث يحبس الهواء بل يندفع من الرئة خلال الأوتار الصوتية فيحدث فيها إهتزازا فينتج صوت يسمى مسموع الجهر (١) .

أما في الهمس فإن الأوتار تنطبق إنطباقا تاما (٢) يسمح للهواء بالمرور دون أن يظهر أثره عليها يجعلها ذات صوت مسموع .

والأصوات الصامتة المجهورة في العربية كما تنطق اليوم هي :

( ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن ، و ، في ( ولد ، وحوض ) ، ى : في ) بيت ، يترك ) (٣) .

أما المهموسة فهي : ( ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، ه ) (٤) .

وهذا ما هو عليه سيبويه ومن بعده من العلماء غير أنهم جعلوا الطاء والقاف من الأصوات المجهورة (٥) .

ولعل هذا الاتفاق الجيد أغرى الباحثين بمحاولة فهم المحتوى العلمي لهذين الاصطلاحين كما جاءا عند سيبويه ، ذلك أن أول حديث عن الجهر والهمس نجده في ( الكتاب ) ولا نجد في ( العين ) ذكرا لهما .

ومن الباحثين المحدثين من يرى أن سيبويه عرف الجهر والهمس كما عرفه المحدثون ، ومنهم من يرى أنه عرف الجهر والهمس على نحو يختلف عن فهم المحدثين ، وأخشى أنهم قد أسرفوا حيث أباحوا لأنفسهم تحميل ألفاظ سيبويه أكثر مما تحتمل ، ونفذوا في فهم عباراته من نظرتهم الحديثة وما هو قائم بأذهانهم يحدوهم حسن الظن بسيبويه . وسنعرض كل ما ورد عند سيبويه ونورد تفسيرات المحدثين ونناقشها لعلنا نستطيع أن نصل إلى نحو من الفهم أكثر قصدا وإنصافا للمسألة .

يقول سيبويه : « فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاى والظاء والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفا » .

« فأما المهموسة فالهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء فذلك عشرة أحرف » .

« فالمجهورة : حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت » .

« فهذه حال المجهورة في الحلق والفم إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما » .

« وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه » .

« وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت » (٦) .

ونورد هنا مناقشة إبراهيم أنيس لتعريف سيبويه ، يقول أنيس :

« وقد تبين لنا في تعريف سيبويه أمران متميزان عبر عن أولهما بعبارة « اشباع الاعتماد » التي أراد بها أن يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع ، فيه وضوح ، وفيه قوة ، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوربيون بقولهم Sonority فالمجهور أوضح في السمع مع نظيره المهموس ، لا نزاع في هذا ، وليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت ، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى إنطلاقه إلى الهواء الخارجي ألا ترى أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهما يكون في الفم والخياشيم . بمعنى أنه تتم في الفم عملية عضوية في حالة هذين الصوتين ، وفي نفس الوقت تتم في الخيشوم عملية عضوية أخرى ، فالنون تتكون بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاءاً محكما ، ويلتزم الناطق بها هذا الوضع ، غير أنه في نفس الوقت يهبط أقصى الحنك فيفتح طريق الأنف لتسرب الهواء منه . كذلك مما يدل على أن الاعتماد معناه العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت أن سيبويه اعتبر أن في المهموس اعتمادا أيضاً ولكنه اعتماد ضعيف ، لأنه يقول : ( فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه ) .

ولأمر ما عبر سيبويه بقوله : ( أشبع الاعتماد في موضعه ) ولم يقل في مخرجه ، لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج . فكلمة الوضع هنا فهي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب «بالمجرى» (٧) . وفرقنا بينه وبين ( المخرج ) (٨) .

ونحب تدوين ما نختلف معه فيه قبل إيراد الأمر الثاني ، وأهم ذلك هذه النقاط :

◦ لا نفهم من عبارة سيبويه « إشباع الاعتماد » ما يفهمه أنيس من أنه أراد بها أن يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع ، فيه وضوح ، وفيه قوة . ذلك أنه لو أراد وصف الحرف بهذه الصفة إذن لقال : إنه واضح وقوى أو لقال : أن المجهور هو الصوت الواضح القوي ثم أن الوضوح والقوة ليسا مقياسين دقيقين يجعلانه يقسم الحروف على ضوئهما ، ثم أن من الحروف المهموسة ما هو أوضح وأقوى من بعض الحروف المجهورة ، فالكاف أوضح من الياء أو الواو ، وأقوى منهما .

◦ أن قوله : « فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس » صحيح لكنه لا يعني أن كل مجهور أوضح من كل مهموس . ولا أن الجهر لا يمتاز عن الهمس إلا بالوضوح .

◦ لا نذهب معه إلى أن ليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت . التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى إنطلاقه إلى الهواء ولنا في الاعتماد فهم آخر نفصله في موضعه . أما الحجة التي أيد بها رأيه وهي أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهما يكون في الفم والخياشيم فهي حجة عليه لأنه لو كان الاعتماد هو عملية إصدار الصوت لما حددها في مناطق معينة حسب مخارج الحروف . ويدل على ما نذهب إليه قول أنيس نفسه وهو يفسر الاعتماد في الفم والخياشيم بقوله : « بمعنى أن تتم في الفم عمليـــة عضوية في حـــالة هذين الصوتين وفي نفس الوقت تتم في الخيشوم عمليـــة عضويـــة أخرى » (٩) .

وهذا يعني أن الاعتماد يكون في موضع محدد هو موضع الحرف وليس عملية تصاحب النفس من الرئة إلى الخارج ويزيد في وضوح ما نقول شرحه للعمليتين في قوله : « فالنون تتكون بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاءاً محكما ، ويلتزم الناطق بها هذا الوضع ، غير أنه في نفس الوقت يهبط أقصى الحنك فيفتح طريق الأنف لتسرب الهواء منه » (١٠) .

◦ أما قوله : « مما يدل على أن الاعتماد معناه العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت أن سيبويه اعتبر أن في المهموس اعتمادا أيضاً ولكنه اعتماد ضعيف » (١١) . فنحن معه فيه ، ونفهم من تعبيره هذا أن الاعتماد غير إصدار الصوت ، وهذا يناقض ما ذهب إليه من أن الاعتماد لا يعني غير إصدار الصوت » (١٢) .

◦ ولا نذهب معه في قوله : « ولأمر ما عبر سيبويه بقوله ( اشبع الاعتماد في موضعه ) ولم يقل في مخرجه ، لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى إنطلاقه إلى الخارج ، فكلمة الموضع هنا هي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب بالمجرى » . لا نذهب معه في هذا كما لا نفهم من كلامه أنه يشعر بالاشباع المذكور وهذا الإشباع الذي يفترضه أنيس لا يفهم من مكان معين من الجهاز الصوتي ، والاعتماد يكون في الموضع لا في المجرى الصوتي كله لأنه أي المجرى من الرئتين حتى الخارج مشترك بين الحروف مجهورها ومهموسها .

ويقول أنيس عن الأمر الثاني الذي تبين له من تعريف سيبويه : « الأمر الثاني الذي تبين لنا من تعريف سيبويه هو ما عبر عنه بقوله : ( منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ) ومعنى هذا في رأيي أن الحس المرهف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكاد أن يسدان طريق التنفس . وتلك هي الصفة التي وضحها لنا المحدثون ، حين وصفوا ما يجرى في الحنجرة مع المجهورات ، إذ قالوا : إنه من المجهور يقرب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، مما يضطر هواء النفس إلى الإندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين الصوتين وتجعلهما يتذبذبان ويظلان يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد ، أي حتى تنتهي العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت ، أما في حالة المهموس فقد عبر عنها سيبويه بضعف الاعتماد ، أي عدم تمكن الصوت في أثناء جريانه في مجراه مما يترتب عليه قلة وضوحه كذلك نجد طريق التنفس معه مفتوحا بحيث يسمح بانسيابه حرا طليقا وتلك هي الحـــال التي عبر عنها المحدثون بقولهم : إن الوترين الصوتيين مع المهموس يبتعد أحدهما عن الاخر فينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما وإحداث ذبذبة بهما . هذا هو معنى جريان النفس مع المهموس ، ومنع جريانه مع المجهور » (١٣) .

**وملاحظتنا على ما أورده ما يلي :**

◦ أن ما فهمه أنيس من قول سيبويه : « منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه » من أن حس سيبويه المرهف جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين ، هذا الفهم فيه مبالغة والاستنتاج يحمل عبارة سيبويه ما لا تحتمل ، ذلك أن حركة الوترين ليست واضحة كل الوضوح ويصعب الزعم بأن سيبويه يحس بإمتناع النفس في الوترين ذلك أنه لا يعرف الحنجرة ولا الوترين ، وهو لم ينسب امتناع النفس إلى أقصى الحلق — وهو ما قد يعتبر حنجرة تجاوزا — ولكنه نسبه إلى موضع الحرف .

◦ قوله : « هذا هو معنى جريان النفس مع المهموس ، ومنع جريانه مع المجهور » وهو نتيجة لمقدمات فاسدة .

ونعرض الآن رأي تمام حسان الذي ينتهي إلى عدم معرفة سيبويه للأوتار الصوتية ، ولكن للحجاب الحاجز ، وقد سجل ملاحظاته في نقاط هي :

◦ يظهر أن الإشباع والإضعاف كما يبدو من المقابلة بينهما

ووضوح معنى الثاني منهما ( إذ أن معنى الإضعاف سلب القوة ) يمكن فهمها على النحو التالي :

الإشباع = التقوية Strengthing

الإضعاف = إزالة القوة Weekening (١٤)

* « يظهر من إسناد الإشباع والإضعاف إلى الاعتماد » . وإتفاق منع جرى الصوت مع إشباع الاعتماد ، وجري النفس مع إضعاف الاعتماد أن الاعتماد ـ الضغط Pressure » (١٥) .

وملاحظتي على هذه النقطة هو أن منع النفس وليس منع جري الصوت يكون مع إشباع الاعتماد ، وجري النفس مع الإضعاف .

* « يظهر من استعمال سيبويه لكلمة ( موضعه ) دون كلمة ( مخرجه ) في النص السابق أن المقصود بهذه الكلمة غير المقصود بالأخرى ويتبع ذلك :

* إن الاعتماد له موضع ولا يوصف بأنه له مخرج لأن المخرج عند سيبويه للحروف فقط (١٦) .

وقبل إيراد نقطة ( ب ) نود الإشارة هنا إلى أنه لا يفهم من العبارة التي يشير إليها وهي : المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه أن المقصود بهذه الكلمة غير المقصود بالمخرج ، أما أن الاعتماد له موضع فهذا ما يفهمه تمام حسان وليس ملزما ، وجاء هذا الفهم من إرجاع الضمير في موضعه إلى الاعتماد لأنه أول اسم قبل الضمير ولكن هذا لا يعني بأن الضمير راجع إليه حقا ، فالموضع يكون للحرف لأن المؤلف يقصد بالمخرج والموضع إلى نسبتهما إلى الحرف ، وما ذهب إليه من استنتاج مبني على فرض لا برهان له . وقوله أن المخرج عند سيبويه للحرف فقط صحيح لكنه لا يفسر عدم استعمال كلمة مخرج في مكان موضع من العبارة السابقة ، وكل هذه الاستنتاجات والافتراضات إنما جاء بها تمام حسان لتسند فهمه لعبارة سيبويه وأكاد أقول رغبته في فهم معين ينتهي إلى نتيجة سيذكرها .

* « إن الاعتماد يكون من موضعه ( والضمير للاعتماد ) واقعا على مخرج الحرف ضاغطا عليه فمنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لإفراغ ما فيهما من هواء وهو ( أي الاعتماد أو الضغط ) واقع على مخرج الحرف أي المكان الذي يتم نطقه فيه ، ولا يطعن في هذا الفهم قوله عن الميم والنون « قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة » لأن حروف الجر يحل بعضها محل بعض والحرف « في » هنا حل محل « على » . أو يكون الاعتماد واقعا « من » الحجاب الحاجز « على » المخرج الذي يوجد « في » الفم والخياشيم ، فإعادة الضمير في كلمة « موضعه » على الاعتماد أولى بأن تجعل المعنى مستقيما » (١٧) . والمآخذ هنا هو أن الضمير في ( موضعه ) يعود إلى الحرف كما ذكرنا ذلك سابقا وليس للاعتماد ، ذلك أن الضمائر كلها تعود على الحرف في الكلمات « في موضعه ، يجرى معه ، ينقضي الاعتماد عليه » . ثم أن قوله إن الاعتماد واقع من الحجاب الحاجز على المخرج للحرف ليس يفهم من كلام سيبويه ، ذلك أنه لو أراد هذا المعنى لأضاف ما يشعر بأن الاعتماد ضغط واقع من الجوف على مخارج الأصوات ، ولكن هذه الصفة لا تعطي الحروف المجهورة ميزة عن غيرها المهموسة ، ولو كان الاعتماد ضغطاً من الحجاب الحاجز لكان ملابسا للنفس دافعا له ولكن النفس يمنع ولا ينطلق حتى ينتهي الاعتماد ، وهذا يوحي بأن الاعتماد شيء مانع للنفس ، وليس قوة ضاغطة مادتها النفس .

أما تقريره بأن واقع على مخرج الحرف فمناقض لما قرره من اختلاف الموضع عن المخرج . وقوله : أن بعض حروف الجر يحل في مكان البعض الآخر فهو من قبيل التخريج وهو أسلوب يتبعه النحاة منذ القديم كما يفعل ابن جني ، ولكن التخريجات وإن استوت لا تعني أن الفكرة واضحة وصحيحة .

* « يظهر من عبارة سيبويه القائلة : « ومنع النفس أن يجري معه ... ويجري الصوت » أن هناك نوعا من التقابل بين النفس وبين الصوت يمكن إيضاحه كما يأتي :

النفس يرتبط بالهمس — Breath

الصوت يرتبط بالجهر — Voiced (١٨)

وعندي أن النفس مرتبط كما يفهم من ظاهر عبارة سيبويه بالجهر والهمس ولكنه يمنع عند الجهر ، ويجري عند الهمس ، وسيفصل ذلك في موضعه .

ـ « يظهر مما تقدم من عبارات سيبويه ومحاولة فهمها :

ـ أن سيبويه لم يكن يعرف وظيفة الأوتار الصوتية في الجهر والهمس بل لم يكن يعرف حتى تركيب الحنجرة بدليل تسميته إياها أقصى الحلق وإعتباره إياها جزءا قصيا من الحلق » (١٩) .

ـ انه رأى الجهر نتيجة لتقوية الضغط كما رأى الهمس نتيجة لإضعافه (٢٠) .

ـ إن سيبويه مع إحساسه بهذا الضغط ( الاعتماد ) لم يكن يعرف مصدره ولا طريقته ومن ثم يكون الربط بين هذا وبين الحجاب الحاجز تفسيرنا نحن للظاهرة وليس تفسير سيبويه (٢١) . وتعليقي على هذه النقطة أنها شهادة منه بأنه يفهم من عبارات سيبويه ما يريده ، لا ما يريد سيبويه ، وقد يكون عند سيبويه علم بالحجاب وقد لا يكون ، والمهم فقط هو فهم كلامه الذي أورده في الكتاب دون إصلاح .

ـ إن الجهر مظهره ( الصـــوت ) وأن الهمس مظهره ( النفس ) (٢٢) ، وقد سبق أن ناقشنا ما أورده في هذا الموضوع ، ولم يكتف تمام حسان بما وصل إليه بل حاول أن يعيد صياغة عبارات سيبويه على طريقة شراح المتون كما يقول ، ولعله قد تأثر بطريقتهم في الدراسة نفسها وتكون العبارة المشروحة هكذا :

« فالمجهور صوت شدد الضغط في الحجاب الحاجز ( معه ) ولم يسمح للهواء المهموس أن يجرى معه حتى ينتهي الضغط عليه ولكن يجري الصوت أثناء نطقه فهذه حال الأصوات المجهورة في الحلق والفم والخياشيم فتصير فيهما غنة أي أثر صوتي أنفي مجهور . وأما المهموس فهو صوت أضعف الضغط في موضع

الضغط أثناء النطق حتّى جرى الهواء المهموس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت بنطقه مع جري النفس فإنك لاتسمع له جهرا » (٢٣) .

**ويعقب على صياغته هذه بقوله :**

« وهكذا يختلف فهم سيبويه للجهر والهمس عن فهم المحدثين » وكأن ما فعله في الصفحات التي عالج فيها رأي سيبويه إنما كان لإثبات هذا الاختلاف ، والقضية إذا كان هذا ما يرمي إليه أسهل من أن يعمد إلى التخريجات وإلى شرح قول سيبويه شرحا هو ليس من سيبويه في شيء ، ويكفي أن يثبت أن سيبويه لم يعرف الأوتار الصوتية ، وهذا ليس عسيرا لأنه قال بأن سيبويه لم يعرف الحنجرة فمن تحصيل الحاصل أنه لا يعرف الوترين ، وبهذا لابد أن يكون فهم سيبويه للجهر وللهمس مختلفا عن فهم المحدثين . ورغم شرح تمام حسان لايزال الأمر غامضا لأنه لم يشرح عبارة سيبويه وإنما أدخل فيها كلمات وأضاف أخرى حتّى يستقيم له ما افترض ورغم هذا لا يخلو الشرح من غموض ولعله بحاجة إلى شرح آخر . ولكننا إذا عدنا إلى كلام سيبويه لمحاولة فهمه نجد أن الحرف المجهور عنده له صفتان :

- يشبع الاعتماد في موضعه .
- النفس لا يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه .

ومن ذلك نلاحظ أن الاعتماد يكون في موضع الحرف ، وأن انقضاء الاعتماد مرتبط بجريان الصوت . فإذا كان الموضع هو ما فهمناه سابقا من أنه أجزاء من الجهاز الصوتي تتكيف تكيفا خاصا لتتحكم في الهواء الخارج فيحدث الصوت المطلوب . فإننا نرجح أن الاعتماد هو ضغط هذه الأجزاء . فالاعتماد مثلا في حرفي الطاء والدال يتم بالتقاء طرف اللسان وأصول الثنايا عند سيبويه هذا الالتقاء العضوي هو الاعتماد . فقد يكون الاعتماد في هذا الموضع شديدا قويا أو مشبعا ، أي أن طرف اللسان لا يترك فراغا يذكر بينه وبين أصول الثنايا . وقد يكون غير قوي .

أما النفس فهو شيء غير الصوت ، وغير الحرف . فالحرف شيء مصاحب للنفس ، ونفهم ذلك من وصفه للحرف المجهور والمهموس . فالنفس يمتنع عن الجريان مع المجهور ، ويجري مع الحرف المهموس ، ونفهم ذلك مع قوله : « وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ( يعني في حالة المهموس ) ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه » (٢٤) . إذن فالمجهور صوت يكون ضغط الأجزاء فيه شديدا ويمتنع النفس عن الجريان معه حتّى ينتهي الضغط . وهذا يجعل ترديد الحرف المجهور مع جريان النفس مستعصيا لأنك محتاج إلى حبس النفس لإصدار الصوت ثم ارسال النفس مرة ثانية . أما في المهموس فالنفس مرسل والصوت متتابع يحمله النفس معه ، واختبرت ما وصف سيبويه من تجربة لاختبار المجهور والمهموس ، فكنت املأ رئتي بالهواء ثم أخرج الصوت المجهور فإذا خرج وجدت أنني أخرج هواء الزفير وأحس براحة ، أما الصوت المهموس فإن الهواء لا يبقى في الرئة وإنما يخرج وأنا أردد الصوت . ولو حاولت إخراج وترديد الصوت فسد الصوت وضاع .

والذي انتهي إليه أن مصطلح الجهر والهمس عنده يختلف في محتواه العلمي عن المصطلحات الحديثة وأعلل هذا بأن سيبويه لا يعرف الأوتار ، وأنه توصل إلى هذه الصفات بطريقته الخاصة وليس بعيدا أن تتناول ظاهرة معينة من زاويتين . فلعله لاحظ صفات لم يلاحظها المحدثون . وأحب أن أنبه إلى أن إتفاق المحدثين مع سيبويه على تسمية حروف معينة باسم معين لا يدل على أن المحتوى العلمي واحد وليس يلزم ذلك ، والاصطلاح لا يلزم بمحتوى معين . فقد يتفق على مصطلح واحد ويختلف على المحتوى . وقد يتفق على المحتوى ويختلف المصطلح .

هذا ما استطعت فهمه من عبارات سيبويه ، وقد يكون في هذا الفهم جور أيضاً . ذلك أن الموضوع دقيق وعبارات سيبويه ليست واضحة .

أما الخلاف الذي نجده بين المحدثين وسيبويه من حيث اعتبار القاف والطاء مجهورين عنده ومهموسين عندهم فقد يكون راجعا إلى اختلاف المقصود بالمجهور والمهموس ، وقد يكون سيبويه يتحدث عن قاف وطاء مختلفين عن القاف والطاء كما ينطقهما المحدثون في فصيحتهم . وقد يرجع الأمر إلى خطأ وقع فيه هو عند اختيار الحروف وهذا مستبعد □

**ابراهيم الشمسان / القاهرة**

(١) عبد الرحمن أيوب ، « أصوات اللغة » ، ص/٥٩ .
(٢) عبد الرحمن أيوب ، م . ن ، ص/٥٨ .
(٣) كمال محمد بشر ، علم اللغة العام ( الأصوات ) ص/٨٨ .
(٤) كمال محمد بشر ، م . ن ، ص/ ٨٧ .
(٥) كمال محمد بشر ، م . ن ، ص/٨٨ .
(٦) سيبويه ٢ /٤٠٥ ، ٤٠٦ .
(٧) أنظر : إبراهيم أنيس ، « الأصوات اللغوية » ، ص/١١٣ .
(٨) إبراهيم أنيس ، م . ن ، ص/١٢٤ ، ١٢٥ .
(٩) إبراهيم أنيس ، « الأصوات اللغوية » ، ص/ ١٢٥ .
(١٠) إبراهيم أنيس ، م . ن ، ص . ن .
(١١) إبراهيم أنيس ، م . ن ، ص . ن .
(١٢) أنظر النقطة (٣) في مناقشة معنى الاعتماد .
(١٣) إبراهيم أنيس ، « الأصوات اللغوية » ، ص/١٢٥ ، ١٢٦ .
(١٤) تمام حسان ، « اللغة العربية » ص/ ٦١ .
(١٥) تمام حسان ، « اللغة العربية » ص/٦١ .
(١٦) تمام حسان ، م . ن ، ص . ن .
(١٧) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/٦١ .
(١٨) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/٦١ .
(١٩) تمام حسان ، م . ن ، ص/٦١ ، ٦٢ .
(٢٠) تمام حسان ، م . ن ، ٦٢ .
(٢١) تمام حسان ، « اللغة العربية » ، ص/ ٦٢ .
(٢٢) تمام حسان ، ن . م ، ص/٦١ .
(٢٣) سيبويه « الكتاب » ٢ /٤٠٥ .

# تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية

أعدها وأجراها : ابراهيم احمد الشنطي



السادة المشاركون في الندوة ، من اليمين إلى اليسار : اسماعيل نواب ، عبد الله الغامدي ، سعيد أبو عالي ، فهد الدخيل ، عدنان نيازي ، توفيق التميمي ، محمد سعيد القحطاني ، إبراهيم الشنطي .

**هذه هي الحلقة الثانية في استطلاعنا العام حول تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية . وكانت أسئلة الحلقة الأولى ، التي نشرت في عدد قافلة الزيت لشهر رجب ، قد أرسلت إلى عدد من المهتمين بالتعريب . أما هذه الحلقة فهي عبارة عن ندوة عقدت في الظهران ، حيث تصدر القافلة ، واشترك فيها عدد من ذوى الفكر والمسئولية وهم : معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني – مدير جامعة الملك فيصل ، الدكتور فهد حامد الدخيل – وكيل جامعة البترول والمعادن للدراسات العليا والأبحاث ، الأستاذ اسماعيل إبراهيم نواب – مدير عام الشؤون العامة في أرامكو ، الدكتور توفيق التميمي – عميد كلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل ، الدكتور سعيد عطية أبو عالي – مدير عام التعليم في المنطقة الشرقية ، الدكتور عدنان محمد نيازي – رئيس قسم علوم الأرض بجامعة البترول والمعادن ، والأستاذ عبد الله حسين الغامدي – رئيس تحرير قافلة الزيت .**

**ولقد اتسمت الندوة بالشمول والتعميم ، وورد خلالها عدد من الملاحظات والاستفسارات والآراء القيمة التي نأمل أن نوردها في الحلقات القادمة فيجيب عنها أولو الاختصاص والاهتمام لنخرج من هذا الاستطلاع بنواة قيمة تزرع فتنمو وتسمو ، وتثمر وتزدهر . وكانت الأسئلة التي طرحناها في الندوة ، وكذلك الإجابات عنها كما يلي :**

**القافلة :**

ما مدى استعداد اللغة العربية وقدرتها لتكون لغة تدريس ، في الجامعات ، للمواد والمناهج الدراسية العلمية من هندسة وطب وصيدلة ورياضيات وطبيعيات وأحياء وما شابه ذلك ؟

**نواب :**

اللغة العربية غنية بطرق تعريبها واشتقاقها ونحتها . والواقع يبدو مؤسفاً حيث أن الأمة العربية التي يبلغ تعدادها نحو ١٤٠ مليون نسمة لم تنهض بلغتها حتى الآن علما بأنها بلغت درجة ممتازة ، في العلوم على اختلافها ، أيام ازدهارها بعد ظهور الإسلام بنحو قرن فقط . كما أن



نواب : كل الدول النامية لديها خطط وجداول زمنية لنهضتها ، فلماذا لا يكون للتعريب جدول زمني تدريجي عملي ومعقول ؟

الأمة العربية اليوم في مستوى لا بأس به ، ثقافياً وعلمياً وحضارياً ، إذا ما قارناها بعدد من الأمم الأخرى . وهناك دول كثيرة ، منها اليابان وأندونيسيا ، اللتان ليس للغتيهما إسهام يذكر في الحضارة العالمية تدرسان جميع المواد العلمية باليابانية والأندونيسية .

وإسرائيل ، وهي بلد صغير قليل عدد سكانه ، تدرس جميع المواد باللغة العبرية ، وهي لغة كانت في عداد اللغات الميتة قبل احيائها منذ سنوات قلائل !

ولم تكن العبرية قط لغة علم ، بل إنها كانت مدينة للغة العربية حين تقدمها في العصور الوسطى حيث أن كبار علماء اليهود نهلوا من الينابيع الإسلامية في العلوم والفلسفة وحتى في علم النحو ، إلا أنها منذ سنوات قلائل أخذت تعود لها الحياة .

**نيازي :**

لا يخالجني شك في قدرة اللغة العربية على نقل أية معلومات ، وإذا كان الله . سبحانه وتعالى ، قد اختار اللغة العربية .. لغة القرآن الكريم .. لتكون لغة آخر الرسالات السماوية ، فهي لن تعجز ، بأي صورة من الصور ، عن إحتواء العلوم على إختلاف أشكالها ، بل إن هناك لغات أصعب من العربية بكثير كاللغة الصينية واللغة اليابانية ، حيث لا يستطيع الطالب أن يتمكن منهما في سنوات قليلة . ومع ذلك فهناك علوم قيمة وأبحاث متقدمة تدرس بهما وتنشر . وعليه فان قدرة اللغة العربية ، في رأيي ، ليست موضع خلاف في هذا الشأن .

**القافلة :**

نخلص من هذا إلى أن العربية قادرة على أن تكون وسيلة للتدريس ولغة للعلوم في الجامعات ، فما هي الصعوبات ، إذن ، التي تواجه تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية ؟

**الدخيل :**

بودنا أن تكون اللغة العربية هي الوسيلة لتعليم كل المواد العلمية من طب وهندسة وكيمياء ... الخ . لكن هناك مشاكل واضحة وأخرى أقل وضوحا ، تطرح سؤالا وهو : هل هناك كتب ومراجع تتضمن أحدث ما وصل إليه العلم في المواضيع التي تدرس في مختلف الأقسام العلمية في الكليات ؟ ! الحقيقة لابد من حل هذه المشكلة قبل أن نندفع في التدريس باللغة العربية . وأنا لا أقول أن ذلك مستحيل . فهناك تجارب كثيرة واجتهادات لترجمة العلوم من اللغات الأجنبية إلى العربية ، ولكنها اجتهادات فردية . وقد أضافت مشاكل جديدة لعملية التعريب ، حيث نجد تعبيرات تستعمل في بلد كسوريا مثلا تختلف عن أخرى تستعمل في مصر أو في المغرب ، ولذا أصبح لدينا لغات علمية اقليمية . وحتى نصل إلى الهدف لابد من تخطيط دقيق وعمل جاد في هذا الموضوع .

**نواب :**

الحقيقة أن توحيد المصطلحات أمر لابد منه ، ولكن يجب أن لا ننتظر حتى يتم توحيدها ثم نبدأ بالتعريب فهذه عملية طويلة . إن المصطلح العلمي الأفضل سيظهر إن عاجلا أو آجلا لدى مراجعة الكتاب وتنقيحه وإعادة طبعه . وستحل الكلمة



نيازي : لقد اختار الله ، سبحانه وتعالى ، اللغة العربية لتكون لغة آخر الرسالات السماوية ، وهي لن تعجز عن احتواء العلوم على اختلاف أشكالها .

المثلى ، أو المصطلح ، مكان الأخرى ذات المعنى الذي يحتمل التأويل .

وهذا ما حدث ابان العصر العباسي » فكان أول مصطلح وضع للحساب هو «ارتماطيقي وللعنصر «اسطقس » وبالتدريج حلت المصطلحات العربية السائغة محل الكلمات اليونانية الثقيلة على اللسان ، وبقي ما راق للذوق العربي من مصطلحات كفلسفة وكيمياء .

**نيازي :**

ان العقبات التي تواجه مسألة التعريب مثل عدم الإتفاق على المصطلحات أو عدم قدرة مكاتب التعريب على التنسيق بصورة فعالة ، هي عقبات لو ضخمناها أكثر مما يجب فلن تقوم للتعريب قائمة . ولذا أرى أن يسير التعريب حسب الإمكانات المتوفرة ودون إصرار ، في الوقت الحاضر ، على توحيد المصطلح أولا ، فذلك سيتم في المستقبل ويأخذ طريقه تلقائياً .

**الغامدي :**

أن كثرة الترادف في اللغة العربية لدليل على صحتها ثقافياً وعلمياً ، ولكن يجب أن تكون هناك الكلمة المستقلة ذات المعنى الواحد الذي

لا يحتمل التفسير إلى معنى آخر لدى الأستاذ والطالب . ووجود مكاتب للتنسيق أمر ضرورى حتى لا يكون هناك التباس في المعنى . لذلك فان المترادفات في اللغة العلمية لا بأس بها ، غير أنه يجب أن تكون هناك كلمة محددة متعارف عليها لكل معنى . وما نحن بصدده في الواقع هو : هل من الضرورى بمكان أن تكون لغة العلم في البلاد العربية والإسلامية لغة أجنبية ؟! عندما جاء الإسلام كانت الحضارة بيد الفرس والروم ، فنزل القرآن بلغة عربية استوعبت كل المفاهيم الإنسانية للحياة الاجتماعية ، فما الذي يمنعنا اليوم من النهوض بها إلى المكان اللائق ؟

**أبو عالي :**
بالنسبة للمصطلحات والمترادفات فهي في الواقع سمة من سمات ثراء اللغة العربية وغناها . فلو استعملنا مصطلحا في سوريا يختلف لفظاً عما هو عليه في اليمن مثلا فلابد أن يكون المعنى مفهوما وخاصة بالنسبة لأهل العلم والمهتمين في هذا الشأن ، ولا أرى أن ذلك سيكون عائقا . كما أن قيام هيئات للتعريب أمر ضرورى . والبداية هي مسؤولية جيلنا الحاضر لنحتفظ بشخصيتنا ولنساهم في التقدم العلمي الحالي ، وهذه مسؤولية كل فرد في مجال اختصاصه .

**القافلة :**
ما هو الأسلوب الذى تقترحونه ليكون بداية للتعريب ومن هي الجهة التي ترون أن يناط هذا العمل بها ؟

**القحطاني :**
إن موضوع التعريب قضية وطنية لا تقتصر على جهة معينة كجامعة أو مؤسسة . وحتى يأخذ الموضوع طريقه إلى النور يجب أولا أن نعي أهمية اللغة العربية وضرورة النهوض بها . وللأسف صارت العربية لا تأخذ الحماس الكافي في مناهج التعليم العام . ولذا لابد لنا من التعرف بدقة على الطريق السليم المؤدى إلى الهدف الذى نسعى إلى تحقيقه .
وثانياً هو أن مسألة التعريب مسألة حضارية أو مسألة تحد وشعور وطني قوى . ثم هل من



الدخيل : التعريب عمل لا يمكن أن تقوم به جامعة أو جامعات فيجب أن تهتم به الأمة العربية ككل ، وأن نستعمل الجامعات العربية كمنهل لذلك .

الضرورة أن نعرب كل شيء في العلوم السابقة أو أن نجعل هناك قنطرة بين العلوم التي سبق إليها غيرنا وبين ما نحن عليه الآن ! ؟
المسألة ليست مرهونة بجامعة أو مدرسة ، إذ لابد أن يكون الشعور متأصلا حتى لدى الأطفال ، بحيث يفضل الطفل العربي رؤية برنامج ثقافي تربوى باللغة العربية على آخر شبيه له باللغة الأجنبية . فيسمع ويقرأ ويستعمل كلمات مثل من فضلك وشكرا ومغلق ومفتوح ، مثلا ، بدلا من الكلمة المقابلة لها بالأجنبية . إن المسألة وطنية وجماعية أيضاً .

**الغامدي :**
المعروف لدينا أن جميع المناهج العلمية في المراحل الدراسية قبل الجامعية تدرس باللغة العربية وليس في ذلك صعوبة . ولكن عندما ينتقل الطالب إلى المرحلة الجامعية ، وبالذات في المجال العلمي ، يفاجأ بأن اللغة الأجنبية هي المستعملة في تدريس جميع المواضيع ، اللهم إلا الدراسات الإسلامية والكتابة العربية الفنية . ولاشك أن هذه ستكون مفاجأة تحدث صدمة لدى الطالب وربما تثبط عزيمته . ولذلك فالأمر في يد الجامعات وعليها أن تبدأ بالمهمة بشكل جاد ومستمر .

**التميمي :**
بعد المئة سنة الأولى من ظهور الإسلام بدأت فترة ازدهار في البلاد العربية والإسلامية ، فأخذت العقول تهاجر إليها من مختلف البلدان : من فارس والهند وبلاد الروم ومن روسيا وبخارى ، ولم تكن العلوم قد ازدهرت عند العرب في ذلك الوقت فافسحوا المجال لهؤلاء العلماء وأكرموهم وشجعوهم على نقل علومهم وترجمتها إلى العربية . فكانت تلك هي الخطوة الأولى في طريق الإزدهار العلمي في البلاد العربية ، وقد بدأها الخلفاء والحكام .
وكانت الترجمة أولا بدون تحوير أو إضافة وربما كان فيها أخطاء . وبعد ذلك بفترة بدأ نقد تلك الترجمات ومراجعتها وتنقيحها حتى بلغت درجة الإتقان وقد أخذ ذلك بعض الوقت قبل أن تبدأ الأجيال التالية في الإضافة والتأليف .

**نواب :**
هناك في الحقيقة محاولات جادة وقديمة أيضاً ، فالجامعة السورية تدرس جميع المواد باللغة العربية منذ زمن طويل ، لكن المشكلة هي ضعف المتخرجين في اللغة الأجنبية ، فمن الضرورى للطلاب الجامعيين أن يعرفوا لغة أجنبية واحدة على الأقل ، وأن يتقنها جيدا أولئك الذين سيتخصصون .
فالمشكلة إذا قائمة على وجه الخصوص بالنسبة للباحثين والمتخصصين ويمكن حلها بعدة طرق ، منها الإصرار على إتقان لغة أجنبية دولية كالانجليزية والفرنسية ، والانجليز والفرنسيون أنفسهم يفرضون لغة أجنبية ، واحدة على الأقل ، على طلاب الجامعات عندهم . وكذلك انتداب بعض الأساتذة الأجانب كي يحاضروا باللغة الأجنبية ، وذكر المصطلحات العلمية الأعجمية أثناء التدريس باللغة العربية .

**القافلة :**
متى ترون أن تبدأ عملية التعريب الفعلية التي نرجو أن توصلنا إلى ما نهدف إليه ، وكيف؟!

**القحطاني :**
نحن الآن نطارد الوقت ، ولا حاجة للمرء

أن يكرر نفسه ، ولا حاجة للمؤلف أن يعرّب كتابا في العلوم الطبيعية ثم يجد أن غيره قد سبقه إلى ذلك أو ربما قد ألف مثله بالعربية . والأولى أن يجتمع الاثنان ويتعاونا في انجاز الأمر . إذن يجب أن يكون هناك شيء من التنسيق ، وأعتقد أن هناك مكتبا يقوم بذلك بين الجامعات العربية ، كما يجب أن يكون التنسيق دقيقاً وشاملا . فالتعريب ليس هو النقل أو الترجمة فقط بل هو أيضاً مراجعة المواضيع وتمحيصها بحيث تتفق مع تعاليم ديننا الحنيف . يجب أن نزيل الغث من السمين . فالمسألة أمانة في أعناقنا تجاه ديننا ووطننا وأجيالنا القادمة ، وكذلك من أجل المحافظة على اللغة العربية والارتقاء بها .

**الدخيــــل :**

التعريب عمل لا يمكن أن تقوم به جامعة أو جامعات فيجب أن تهتم به الأمة العربية ككل ، وتقوم به ضمن الجامعة العربية أو جهاز المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ولقد قام مكتب التعريب في المغرب بأعمال كبيرة منها إصدار معاجم علمية في الرياضيات وتعريب مصطلحاتها . ولكن يجب أن نستعمل الجامعات العربية كمنهل ، فنختار الكتاب الأفضل في الموضوع ، طب ، هندسة ، رياضيات ... الخ ، ونعهد به إلى أساتذة قديرين لتعريبه ثم يراجعه أخصائيون متمكنون من اللغة العربية واللغة الأجنبية التي صدر الكتاب أساساً بها . ثم يطبع الكتاب طباعة أنيقة معتبرة تضاهي الكتب العلمية الأجنبية . وبعد ذلك نبدأ بتدريس المادة بالعربية في الكلية ذات الاختصاص . كما أني لا أرى تعريب كل ما يصدر ، فالدوريات العلمية الأجنبية بالآلاف وإذا ضخمنا الأمر صعب تحقيقه . فعلينا أن نقتصر على كتب المناهج الدراسية . كبداية على الطريق ثم بعد ذلك نواجه تعريب الدوريات .

وإذا ما أخذنا بالتدريس بالعربية وبدأت أفواج الخريجين الذين درسوا بالعربية تأخذ مواقعها فان الكتابة والتأليف وكذلك الأبحاث وبالتالي المراجع ستكون بالعربية . ويصبح من غير الواجب على الدارس العربي إتقان اللغة الأجنبية إتقانا تاما إلا في مجال التخصص بل يكفي أن يقرأها ويفهمها .



الغامدي : هل من الضرورة بمكان أن تكون لغة العلم في البلاد العربية والإسلامية لغة أجنبية ؟

**التميــــمي :**

من المعروف حاليا أن الانجليزية هي أكثر اللغات استعمالا في المجالات العلمية لضخامة الإنتاج بها وخاصة في مجال الطب . فحسب معرفتي هناك نحو ٢٠٠٠ نشرة دورية في العلوم الطبية ولدينا منها في كلية الطب بجامعة الملك فيصل حوالي ٥٥٠ دورية ، ونحن في هذا العصر لابد لنا من الاهتمام بالانجليزية بشكل خـــاص على أن لا نهمل اللغات الأخرى العالمية كالفرنسية والألمانية واليابانية .

أما الاقتصار على نقل أمهات الكتب فذلك أمر كان مقبولا قبل معرفة الطباعة ، حيث كانت الكتب مخطوطات كلها . فمثلا كان عدد الكتب في كلية الطب بجامعة « مونت بيليه » بفرنسا لا يتجاوز سبعة أو ثمانية كتب ، وكذلك في كلية الطب بجامعة « سيلارنو » بايطاليا . ومعظمها لابن سينا والرازي ، وكان ذلك في القرن الثاني عشر أما اليوم فالوضع تغير كثيرا . نظرا لضخامة الإنتاج العلمي . وهنا يجب التفكير في الإستعانة بالآلات الحاسبة ( الكمبيوتر ) في الترجمة ، وتطوير هذه الآلات بحيث يمكن ترجمة أعداد كبيرة من الكتب والدوريات العلمية بطريقة آلية . والواقع أنه لابد لنا من اغداق الأموال على الترجمة والتعريب ، ولابد أن يكون هناك دور نشر على مستوى عال لإخراج الكتب على أحسن وجه ، طباعة وتصويرا وتجليدا وما إلى ذلك .

**أبو عــالي :**

أن قضية تعريب الدراسة تختلف عن قضية ترجمة كتب أو موضوعات علمية إلى العربية . ان التعريب قضية اجتماعية تتفاعل فيها عوامل ومتغيرات كثيرة ، وتعني المشاركة التامة والتفاعل الكامل من قبل المثقف والمتعلم العربي مع المجتمع والقيم التي يعيش في ظلها من ناحية ، ومع المجتمعات والهيئات العلمية الأخرى المتقدمة من ناحية ثانية .

والتعريب أخذ وعطاء ، فمثلما نأخذ يجب كذلك أن نعطي ونسهم . يجب أن نكون عنصرا فاعلا وليس متلقيا فقط . نفيد الآخرين ونستفيد منهم لكي يكون لنا مكان مرموق في المجتمع العلمي الدولي وذلك يكون بالتجديد والإبداع . وعلينا أن لا نبطئ في العمل ، ولا نقول هل نترجم أولا أو ننشيء مراكز ترجمة او تعريب ، فهذا قد يؤخرنا . علينا أن نتحرك ضمن برنامج أو خطة معينة ، ولكن بروية . كما أني لا أرى ضرورة تعريب كل شيء ، فالغرب لم ينقل عنا غير أمهات الكتب والمراجع ثم أخذ يتفاعل وينتج . ونحن أيضاً علينا أن نعرب أمهات الكتب ونفسح المجال للأستاذ والطالب والدارس كي يتفاعلوا معها ، كل في حقل اختصاصه .

**نيــازي :**

أن تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية لا يمكن أن يكتب له النجاح ما لم يصاحبه تعريب الأعمال التي سيشغلها خريجو تلك الكليات . ولذا فان مسؤولية التعريب لا يمكن القيام بها إلا إذا قام بها جهاز الدولة بكامله . ولابد أن تكون هناك خطة زمنية مدروسة وموقوتة لانجاز العمل في عدد معين من السنين . وأرى أن مثل تلك الخطة يجب أن تشمل تكوين جهاز يشرف على التعريب يتبع له دار أو مركز لترجمة الكتب والمراجع العلمية ، ومعهد أو معاهد لتخريج مترجمين متخصصين في الحقول المختلفة . كما أرى أن تكون لغة العقود



أبو عالي : البداية هي مسؤولية جيلنا الحاضر لنحتفظ بشخصيتنا ولنساهم في التقدم العلمي الحالي .

والعمل في البلاد العربية هي اللغة العربية ، وأن تكتب جميع التقارير والمراسلات والمعاملات بها في جميع المؤسسات الأجنبية العاملة هنا . وأن تكون تعليمات ومواصفات ورسومات جميع الأجهزة والمواد المختلفة المستوردة وطريقة استعمالها باللغة العربية أيضاً .

وكذلك الطلب من كل جامعة بأن تقدم خطة زمنية للتعريب مع ضرورة التقيد بالجدول الزمني المتفق عليه ، وإقامة تنسيق وتعاون تامين مع مؤسسات التعريب الأخرى في العالم العربي ، وإعطاء الأولوية لخطة التعريب حتى ولو اقتضى ذلك تأخير بعض أوجه خطة التنمية الاقتصادية المتبعة .

**نـــــوّاب :**

لن تقوم للتعريب قائمة إلا إذا كان هناك تشريع أو جدول زمني للجامعات تلتزم به ، وتعمل على تحقيقه ، فيقوم المختصون فيها بالتنسيق مع الجامعات الأخرى وتعريب مواد السنة الأولى في كلية الهندسة المدنية أو الكهربائية ، مثلا ، ويبدأ التدريس بها ، على أن تكون مواد السنة الثانية قد أنجزت قبل أن تنتهي الأولى ، وهكذا دواليك سنة بعد أخرى ؟

وفي رأيي أن تعليم الطب بالعربية تقهقر على الرغم من جهود سوريا في هذا المجال . لقد كان الطب يدرس بالعربية في مصر أيام محمد علي ثم تغير الحال . وكذلك كان يدرس في كلية الطب بالجامعة الأمريكية لدى إنشائها واستمر لمدة حوالي ١٥ سنة ، ثم تغير الحال . وإذا كانت سوريا قد استطاعت ذلك فما الذى يمنع الآخرين من المحاولة ؟

إن كل الدول النامية لديها خطط وجداول زمنية لنهضتها ، فلماذا لا يوضع للتعريب .. كما يوضع لقطـــاع الصناعـــة مثلا .. جدول زمنيّ تدريجي عملي ومعقول يأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على المستويات العلمية الرفيعة ؟

**القـــافلة :**

هل هناك محاولات أو مجهودات تقوم بها الجامعات في السعودية لتعريب بعض المواد في كلياتها العلمية ؟

**القحطــــاني :**

في الحقيقة هناك خطة بل ولائحة تنفيذية في جامعة الملك فيصل ، ولدينا لجنة لذلك لها من الإمكانات ما يلزم . لكن عملية التوحيد بين الجامعات الأخرى لابد من تنسيقها . فمن الممكن أن يكون في الجامعات الأخرى من هو أقدر على هذا العمل أو أنهم قد سبقونا إليه ، ونحن الآن نمر في طور الإنشاء والتأسيس والبناء ، والشعور متوفر حالياً والحمد لله وكذلك الإمكانات . ففي كلية العلوم الزراعية والأغذية بجامعة الملك فيصل (في الاحساء) يجرى تدريس المواد الأساسية فقط بالانجليزية . وهناك خطط تدرس حاليا لتوسيع استعمال اللغة العربية . وحبذا لو تقوم كليات الطب مثلا ، في مختلف الجامعات العربية ، بإطلاع طلابها على ما تم في كلية الطب بسوريا من حيث تعريب المصطلحات وكذلك الدراسة . فبعض الطلاب لا يعرفون أن الطب يدرس في سوريا باللغة العربية . وبذلك نشجعهم ونشحذ هممهم نحو التعريب وايجاد خلفيات بالعربية لديهم في مجال تخصصهم .

**الدخيـــل :**

بدأ فريق من جامعة البترول والمعادن



القحطاني : ان موضوع التعريب قضية وطنية لا تقتصر على جهة معينة ، والمسألة أمانة في أعناقنا تجاه ديننا ووطننا وأجيالنا القادمة .

بالظهران ، بإشراف الدكتور رضا سراج الثقة — عميد كلية الدراسات العليا ، والدكتور زيني ساعاتي — مدير مركز المعلومات بمعهد الأبحاث ، بمشروع لتعريب الحاسب الآلي ، وكانت الخطوة الأولى هي تطوير الوسيلة اللازمة لاستعمال اللغة العربية واللغة الأنجليزية في آن واحد . وقد جرى تطوير لوحـــة تحتوى على مفاتيح الحروف والرموز المستخدمة ، وشاشة تشبه شاشة التليفزيون . وهذا الجهاز يستخدم لإدخـــال المعلومات الى الحاسبات الآلية ، ومن خلال ذلك تم التوصل إلى نظام موحد لترتيب الحروف والأرقام والرموز العربية . وقد أثبتت التجارب صلاحية هذا النظام بالمقارنة بما كان مقترحاً من قبل الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس ، وسوف يرفع تقرير للهيئة للأخذ به . ومن الجدير بالذكر أن تكلفة تصميم نسخ أخرى منه لا تتجاوز ٣٤٠٠ ريال سعودي للنسخة الواحدة . وهذا يقل بكثير عن السعر التجارى لما يماثله . أما الخطوة التالية ، وهي قيد التنفيذ حاليا ، فهي تطوير الطابع العربي اللاتيني وسوف تتم هذه خلال شهور قليلة إن شاء الله .

ويمكن بالخطوتين السابقتين استخدام جميع



التميمي : ان تدريس الطب حاليا باللغة العربية هو قضاء على مستقبل الطب إلا إذا اتخذت إجراءات كاملة في عملية التعريب .

البرامج المعروفة للحاسب الآلي ، وتسخيرها لجميع التطبيقات الممكنة للحاسب باللغتين . وهذا ، في حد ذاته ، كاف للإستخدامات المكتبية والإدارية لأنه سيكون بالإمكان إدخال المعلومات وتنسيقها وحفظها واسترجاعها وطبعها باللغتين .

أما الخطوات التالية فهي تعريب لغات الحاسب الآلي وإنشاء لغات جديدة للفرد العربي تناسب اللغة العربية وتطبيقاتها . وكذلك عمل تصميم جديد للحاسب ودوائره المتعددة وتعميم استعماله من طرف المؤسسات والإدارات الحكومية والخاصة وخلق ثقافة للحاسب الآلي بين الجمهور وفي المدارس على مختلف مراحلها .

**التميمي :**

بالنسبة لكلية الطب ، في جامعة الملك فيصل هناك خطوات أتخذت في الفترة الأخيرة . كما أن مجلس وزراء الصحة العرب متحمس لفكرة التعريب . وقد اجتمع ممثلون عن مختلف كليات الطب في العالم العربي ووضعوا توصيات كثيرة في هذا الشأن . ومع ذلك فأنا أحذر من عملية الإرتجال ، وأرى أن تدريس الطب حاليا باللغة العربية هو قضاء على مستقبل الطب إلا إذا اتخذت إجراءات كاملة في عملية التعريب مثل تدريب هيئة التدريس وإيجاد عدد وفير من المدرسين الاكفاء وتوفير الكتب والمراجع والدوريات اللازمة . وإلا سيتخرج الطبيب العربي بمعلومات قديمة حيث أن العلم متطور باستمرار .

وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الدوريات الصحية العربية تظهر في الأسواق مثل « المجلة الطبية السعودية » التي تصدرها وزارة الصحة ، وطلاب كلية الطب لدينا يطالعونها بانتظام . وهناك « مجلة الطبيب الممارس » وهي تطبع بالعربية في باريس بإشراف أطباء لهم خلفيات فرنسية أو متمكنين من اللغة الفرنسية وقد دعمها وزراء الصحة العرب ، وأخذ طلابنا في الإطلاع عليها بصورة منتظمة . كما أن لدينا في الكلية مجلة طبية تصدر بالعربية يشرف عليها الأساتذة والطلاب وهي على مستوى جيد . وعلى أية حال يمكن أن تبدأ كليات الطب بتدريس بعض المواد بالعربية كالطب الشرعي وتاريخ الطب وبعض مواد العلوم . أما أن نبدأ بتدريس الطب حالا باللغة العربية فهذا أمر صعب حيث أن ٨٠ في المئة من أعضاء الهيئة التدريسية لا يعرفون العربية . كما أن تدريس اللغة الأجنبية للطلاب كلغة فقط لا يفيد كثيرا ولابد لهم من استعمالها .

**القــافلة :**

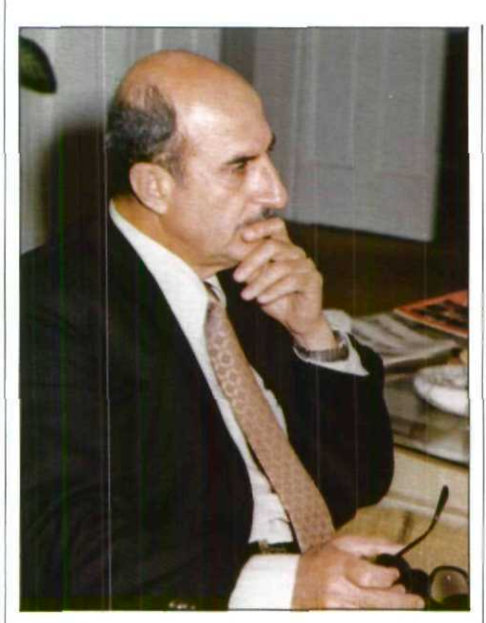
ما الذى يرفع من مستوى لغة أمة من الأمم : هل هي قوتها السياسية أم تقدمها العلمي ، أم قدرتها الاقتصادية والتجارية أم كثرتها العددية ؟

**نــواب :**

هناك عدة عوامل إلا أن للقوة السياسية أثراً كبيرا في ذلك . فالأمة الغالبة – كما قال ابن خلدون قبل مئات السنين – تفرض لغتها وحضارتها على الأمة المغلوبة .

**القحطــاني :**

إن مستوى اللغة يتوقف ، في الواقع ، على قوة أهلها السياسية والعلمية والاقتصادية وكثرتهم العددية . فالناطقون بالانجليزية مثلا لديهم الامكانات السابقة جميعها . كما يجب أن



الشنطي : الأمة العربيــة اليوم في وضع حضاري ومادي تستطيع معه القيام بمهمة التعريب ، وأنه قد آن الأوان للعمل .. والعمل بجد .

نضيف إلى ذلك الإعتزاز الحضارى والشعور الوطني لأبناء الأمة تجاه لغتهم .

**الغــامدي :**

حتى يكون للدراسة الجامعية باللغة العربية انعكاسات ايجابية على المجتمع هناك نقطة مهمة يجب أن لا نغفلها . وهي أن كثيرين من خريجي الجامعات في البلاد العربية لا يجدون العمل المناسب لتخصصهم بحجة ضعفهم في اللغة الأجنبية . فاو كانت اللغة العربية في الجامعات العربية كلها هي لغة العلم والتدريس لما أغلقت أمامهم أبواب الرزق . ولذلك نجد كثيرين من الطلاب العرب يتجهون إلى الجامعات الأجنبية . ان جهد جامعة لوحدها هو جهد ضخم عليها ، وهو بالتالي سيحبط . الجهد ليس جهد جامعة أو بلد وإنما جهد أمة متكاملة وهو ، في نظري ، ينبع من الجامعات .

**أبو عــالي :**

إن عملية التعريب تعطي الطالب العربي قدرة أكبر على الاستيعاب والفهم وبالتالي على الإسهام في رفع مستوى اللغة العربية ذاتها . وإذا كان يؤخذ على خريجي الكليات العلمية

في قطر عربي بأنهم غير أقوياء في اللغة الأجنبية لأن دراستهم بالعربية فانه يمكن أن يؤخذ كذلك على خريجي الكليات العلمية ، في قطر عربي آخر ، بأنهم ضعاف في اللغة العربية لأن دراستهم كانت باللغة الأجنبية . وهذا الذى يجب أن يزعجنا أكثر لأنه قد يؤثر في خفض مستوى اللغة العربية ، وهذا أمر يمس أصالتنا الشخصية ويتعلق بوطنيتنا .

**القـــافلة :**

هل يمكن أن يؤثر استخدام اللغة الأجنبية في التدريس الجامعي على لغة البلد المستخدم وثقافته وحضارته ؟

**الغـــامدي :**

استخدام اللغة الأجنبية في الدراسات العلمية العليا قد أثر إلى حد كبير على لغتنا العلمية ، وأقصد هنا لغة الطلاب والمدرسين في الدراسات العلمية العليا . فهم ، في تصورى ، أى المدرسين ، لا يستطيعون أن يصوغوا مادتهم باللغة العربية لتكون سلسة وفي متناول مستوى الطلاب الذين يأتون من المدارس الثانوية ، حيث أن كل ما تلقوه كان باللغة العربية تقريبا . هذا جانب ، أما الجانب الآخر فهو أن المدرس الذى يلقي دروسه في المعاهد أو الكليات العلمية ، إن صح التعبير ، لا يستطيع أن يتعامل في بحوثه ومع طلبته إلا باللغة الأجنبية حيث أنها كانت لغة تخصصه العلمي ، ولم يحاول أن يكتب أو يصوغ أفكاره بلغته الأم وهي اللغـــة العربية .

أما مدى تأثر ثقافة البلد المتعلم وحضارته من هذا الجانب ، فانني أرى أن الأثر الثقافي ــ العلمي هو الذى يجب أن يكون مدار الاهتمام ، حتى تكون لغة العلم في متناول كل المثقفين ، سواء منهم من تعلم اللغة الأجنبية أم لم يتعلمها . ونحن نرى أن البلاد الغربية تصدر المئات من النشرات العلمية ، وفي مختلف التخصصات ، بلغة مبسطة تصل إلى مستوى جميع المثقفين الذين ليس لديهم تخصص علمي . ولذا فإن التأثير على حضارة الأمة وثقافتهـــا قائم ، ولكنـــه ليس بالأثر الخطير الذي يهدد الأمـــة في لغتهـا ، إذا ما علمنا أن هنـاك مراكز ومعاهد عليا تقوم بدورها في حفظ اللغة العربية .

**نـــــوّاب :**

الكلمات الأعجمية غزت مجتمعاتنا في حياتها اليومية غزوا ساحقا ، وهذا أمر يجب أن يقلق بال كل شخص مثقف ، فاستخدام كلمات أجنبية في نطاق علمي وتخصصي في حالة عدم وجود كلمات عربية .. كما كانت الحال في مستهل عهد الترجمة في العصر العباسي .. لهو أفضل من الاستمرار في تدريس جميع المواد بمفردات أجنبية . فالخطر على ثقافتنا ونقاء لغتنا لا يأتي من هذا الباب بل الخطر ، كل الخطر ، يتجسم في تغلغل المفردات الأجنبية ، دون شعور منا ، في اللغة المحكية ، حتى أنها تصبح جزءا لا يتجزأ منها . ولاضرب لكم مثلا على ذلك : « جلس الدكتور فلان على الكنبة ، بجانب الأباجورة ، وبعد أن تكلم قليلا في التلفون ، سجّل فلما سينمائيا عن الفلكلور التونسي على الفيديو ، بينما كانت ابنته تشاهد بعض أفلام الكرتون في التلفزيون . أما ابنه فقد طلب من السكرتير أن يشترى له جهاز راديو كاسيت وميكرفونا . ثم خرج حاملا الكاميرا وركب التكسي متوجها إلى الأستوديو . وأثناء عودته ركب الباص فبنشر كفره قرب محل لبيع الآيس كريم فنزل واشترى قطعة من الشكولاته ثم ركب أتوبيسا آخر وعاد إلى منزله » .

هذا مثال بسيط وهو ، على الأقل ، أسماء لأدوات ومعدات وردت من الخارج . ولكن ما بالنا في بعض الأقطار نستعمل كلمات أخرى عادية مثل : مرسيه وانكل وطنط وكادر وكورنيش وكنكرى وروتين وكاونتر وديكور وهوز وكنتين ، وكثيرا غير ذلك !

ان تعريب الدراسة في الكليات العلمية أمانة في أعناق رجال الأمة العربية المخلصين . كما أن كثيرا من الدول الإسلامية ، غير العربية ، تواقة إلى استعمال اللغة العربية ، ومنها من أخذ بتدريسها كلغة ثانية . وهي تنظر بأمل ورجاء أن يعرب العرب التدريس على كل مستوياته كي تعود اللغة العربية لغة دين وعلم وأدب وفلسفة كما كانت في أزهى عصورها عندما كانت لغـــة المسلمين العلميـــة الوحيدة في مشارق الأرض ومغاربها .

**وبعـــــد ..**

فهذه خلاصة الحلقة الثانية في هذا الاستطلاع المسلسل ، وسيتلوها إن شاء الله حلقات نلتقي فيها مع ذوى الفكر والعلم والقلم . فالتعريب مهمة شاقة ، لاشك في ذلك ، ولكنها أيضا ليست مستحيلة . وقد تأخذ وقتا طويلا لكن الوقت سيقصر إذا ما بدأنا بالسير نحو إتمامها ، والرحلة الطويلة تبدأ عادة بخطوة قصيرة كما يقول المثل .

أن تعريب العلوم ، على إختلافها ، قضية قومية ووطنية ، بل هي قضية دينية . وقد كرم ديننا الحنيف العلماء والعاملين وحث القرآن الكريم على العلم ودعا إلى العمل فقال تعالى : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ــ ٩ سورة الزمر » .. وقد تكررت كلمتا العلم والعمل في القرآن الكريم عشرات المرات .

ولا يخفى علينا أن الأمة العربية اليوم في وضع حضارى ومادى تستطيع معه القيام بمهمة التعريب ، ولديها من الأساتذة الأكفاء والمترجمين الثقاة العدد الكافي . وأنه قد آن الأوان للعمل بجد . فطلاب اليوم هم أساتذة الغد ، وهم كتاب المناهج ومؤلفو الكتب في المستقبل ، فبأى لغة نريدهم أن يكتبوا ويؤلفوا ! ؟

وانه لمن الخير لنا ، اليوم ، أن نشق على بضع مئات من المؤلفين والمترجمين ، ولبضع سنوات ، من أن يشقى عشرات الآلاف ، بل الملايين ، من طلابنا وهم يكدون ، كل بمفرده ، في محاولة لفهم اصطلاح أو نظرية ، فينقبون في القواميس بحثا عن معنى كلمة أجنبية عميت عليهم . وقد ينعتهم الآخرون ببطء الفهم وخمول الذهن وهم أحفاد العلماء الذين رفعوا مشعل العلم والحضارة حينما كان الآخرون يهيمون في الظلام .

هناك حلقات مفقودة في سلسلة التعريب ، أهمها التنسيق والدعم المادى . والأخير ، حمدا لله ، متوفر ولا يبخل به أولو الأمر . يبقى الأول وهو التنسيق . لماذا لا يكون أوثق وأمتن ! ! ما الذى يمنع الحلقات من الترابط ! ؟ متى ستظهر الأغراس ! ؟ ذلك ما نأمل أن نعرفه في ندوات قادمة في المستقبل القريب إن شاء الله □



قصة قصيرة

# كانت أيام

على قمة جبل يطل على البحر تجثم قريتنا بين أشجار الكروم والفاكهة والزيتون التي تحيط بها من كل جانب فتبدو وكأنها عش جميل هادىء بين أحضان الطبيعة الحانية .

وفي قريتنا – شأن كل القرى – مواسم زراعية كثيرة تبدأ بموسم الحصاد مروراً بموسم المشمش والتفاح والتين والعنب وانتهاء بموسم قطاف الزيتون .

ولموسم الزيتون – بشكل خاص – طقوس وتقاليد تكسبه أهمية خاصة تضفي عليه جواً من الرضا والطمأنينة والسعادة يغرق فيه كل أبناء القرية على اختلاف أعمارهم وفئاتهم .. ففي موسم الزيتون كل عام تتجمع الآمال والوعود لتتحقق بعد جني المحصول وعصره .. فكساوي الأولاد بعد موسم الزيتون .. وسداد الديون بعد موسم الزيتون .. واقامة أفراح الزواج بعد موسم الزيتون .. كل الخير والأمل تحمله شجرة الزيتون المباركة الى كل القلوب والبيوت ..

وقريتنا – شأن كل القرى – في موسم الزيتون لا تنام ، فهي ليل نهار في حركة دائبة كخلية النحل تعج بالنشاط ، ففي النهار تتعالى أصوات القاطفين يغنّون ويهزجون في الكروم من كل حدب وصوب على أصوات نقر عصيهم الطويلة وهم يسقطون بها حب الزيتون على الأرض حيث تنتشر الصبايا يلتقطنه في زهو وسعادة وكأنهن يلتقطن حبات من اللؤلؤ وقد ارتفعت ضحكاتهن في فرح ومرح وانطلاق .



بقلم : الأستاذ حسن حسن سليمان

والى أسماع القاطفين تصل أصوات الباعة المتجولين على حميرهم بين الكروم وهم ينادون على ما معهم من العنب والتين المجفف والجوافة وعلب التونة والسردين فيتهافت عليهم القاطفون يشترون منهم ما يشاءون بالمقايضة فيعطونهم الزيتون ويأخذون منهم ما يشتهون . وعند انتصاف النهار تتحول الطرقات الى ما يشبه دروب النمل تجوبها الحمير ذاهبة آيبة محملة بأكياس حب الزيتون من الكروم الى البيوت ، ثم تعود مرة أخرى لترجع مع الغروب بأحمال جديدة .

وبعد الغروب تجتمع النسوة والبنات والصبية حول أكوام الحب يلتقطون على أضواء القناديل ما عسى أن يكون قد اختلط بالحب من أوراق الشجر ، بينما



يجتمع الرجـال في « البدود » حيث يساعدون بعضهم بعضاً في كل المراحل التي تمر بها عملية عصر الزيتون .

« والبدّ » هو معصرة الزيتون البدائية القديمة قبل اختراع المعاصر الحديثة الأوتوماتيكية ، وكان يدير حجر الرحى الكبير في البد زوج من الحمير أو البقر أو رأس من الخيل . وكان فريق من الرجال يقومون بهذه المهمة أحياناً اذا ما أصاب الحيوان اعياء أو فتور بسبب العمل المضني المتواصل فيتولوا عنه هذه المهمة ريثما ينال قسطاً من الراحة . ويقدّم له خلال ذلك وجبة من التبن والشعير ثم يعود الى سابق عمله بعد أن يكون قد استراح وشبع وارتوى .

وكان الرجال يقطعون الليل بأحاديث السمر والأهازيج والأغاني الشعبية ويتخلل ذلك وجبة غذائية مع الشاي والقهوة وما تيسر من العنب أو التين المجفف أو الجوافه .

وكان صرير خشبة حجر الرحى وهي تـدور حول اللولب الخشبي يبعث في جوف الليل لحناً جميلاً شجياً محبباً ترتاح له الأذن ويأنس اليه القلب . انهـا عجلة الخير والبركة تدور في هذا الموسم بلا توقف ولا كلل . ويقطع سكون الليل بين حين وحين ضحكات الصبايا وهرجهن وهن يحملن فوق رؤوسهن جرار الزيت ينطلقن بها عبر الحارات والأزقة من البد الى البيوت في خفة ورشاقة وكأنهن يتحركن على خشبة مسرح في حركات استعراضية بديعـة .

و« بدّ الزاوية » واحد من البدود الكثيرة المتناثرة في أرجاء قريتنا وهو يقع على بعد خطوات قليلة أمام بيتنا مباشرة في منخفض من الأرض مما جعل سطحه لا يرتفع عن مستوى الشارع الا قليلاً .

وكما كان « بد الزاوية » يلعب دوراً هاماً في حياة المزارعين في موسم الزيتون فقد كان يلعب دوراً أهم من ذلك بكثير في حياة صبيان الحي وبناته على مدى عدة أجيال . فقد كان ملعباً يموج بالحركة والنشاط يحتشد فيه الأطفال من الجنسين يلعبون ويمرحون ويتصايحون ويتراكضون طوال أيام السنة ، فيه يلتقي جميع أطفال الحي ومنه ينطلقون في كل وجه من وجوه نشاطهم .

كنا — ونحن صغار — نصحو من نومنا مباشرة لننطلق الى سطح « البدّ » فنجد بعض رفاقنا قد سبقونا اليه ولا يلبث الباقون أن يلحقوا بنا ، ثم نتوزع في مجموعات شتى وألعاب عديدة ننهمك فيها حتى انتصاف النهار فنعود الى بيوتنا لتناول غدائنا على عجل لنعود ونستأنف ما كنا فيه حتى غروب الشمس ، ثم نعود الى بيوتنا للعشاء ولا نلبث أن نعود ثانية الى سطح البد ، وكان أحدنا أو بعضنا يمر على بيوت الرفــاق ينادي المتخلفين منهم للانضمام الينا ، ثم ننطلق في الحي فنملأه ضجيجاً وجلبة ، وكان الحاج عوض يخرج علينا في كل ليلة متوكئاً على عصاه الغليظة يمطرنا بوابل من الشتائم بعد أن يكون قد بلغ به الضيق من جلبتنا وضوضائنا حداً لا يتمكن معه من السكوت والصبر عليه ، وكنا نتفرق أمامه ذات اليمين وذات الشمال فزعين فرحين ولم يكن يتمكن لضعف صحته وكبر سنه من اللحاق بنا ، فلا يلبث أن يعود يائساً دون أن ينال منا نيلاً ، وسرعان ما كنا نعود ليعود الحاج عوض الى مطاردتنا من جديد ، وكنا نجد في هذه المطاردة لذة ما بعدها لذة اذ كانت جزءاً من ألعابنا لا غنى لنا عنه وفقرة هامة من برنامجنا اليومي لا يحلو لنا البرنامج الا بها . . وكان الحاج عوض كلما ازداد عنفاً في مطاردتنا ازددنا فرحاً وغبطة ونشاطاً في معابثته . . كانت أسعد أوقاتنا هي تلك التي نقضيها في كر وفر مع الحاج عوض ، وكان ذلك سجالاً بيننا وبينه ، طوراً لنا وطوراً علينا ، ولم يكن يحسم الموقف سوى تدخل العم ابراهيم الذي يمعن في مطاردتنا حتى يسلّم كلا منا الى أهله مع التهديد والاستنكار .

ولم يكنْ برد الشتاء القارس ليحول بيننا وبين الاجتماع على سطح «البدّ» على الرغم من شدة الظلام ليلاً بسبب تكاثف السحب . كنا نتغلب على البرد والظلام باشعال نار نلتف حولها وكأنها أم رءوم تجمع أطفالها وتشيع في نفوسهم دفء الحنان . وكان للحطب المبتل بماء المطر وهو يحترق رائحة عبقة تملأ الجو وتنفذ الى أعماقنا فنحس لها بنكهة طيبة تسري في أوصالنا . وكانت سهرتنا حول النار تمتد حتى أذان العشاء . وكان جمعنا لا ينفض الا بعد أن يأتي



اخواننا الكبار وينتزعونا من جانب النار انتزاعاً .

وكما كان سطح « البدّ » ملعباً فقد كان أيضاً مدرسة للصغار والكبار من الأطفال : حكايات لا تحصى عن الشاطر حسن وست الحسن ، وكانت هذه الحكايات تنتقل من البيوت لتذاع على رواد سطح البدّ في أمسيات الشتاء حول النار المشتعلة . وكنا ننصت باهتمام الى هذه الحكايات التي كانت تشدنا في اليقظة .

أحلى أيام طفولتنا وأبهجها قضيناها على سطح « البدّ » في بهجة وصفاء لا يعرف الهموم ولا الأحزان . وكانت معاكسة العم عوض أحب ألعابنا اذ كانت مطاردته لنا تزيدنا حماساً ومرحاً . لم نكن نضمر له شراً ولكننا على العكس من ذلك كنا نحبه كثيراً وكنا نعمد الى أن نشركه معنا في ألعابنا ، ولم يكن أمامنا من وسيلة الا اثارته كي يطاردنا .

وكان سطح « البدّ » بالنسبة الينا معيناً لا ينضب من الأنس والمسرات ، كان كالأم الرءوم نهرع اليه لنجد في كنفه الحنان والبهجة ، كنا نهرع اليه في ساعات الهم نلتمس عنده السلوان اذا تعرّض أحدنا لعقاب بسبب ذنب اقترفه في البيت أو مخالفة ارتكبها ، لم يكن سوى سطح « البدّ » من ملجأ في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل ، كان ينبوعاً من العطاء لا يتوقف ، وكان سميراً نطلبه فنجده في أي وقت نشاء.

ثم كبرنا .. وافترقنا ، فصرنا لا نلتقي الا مصادفة بين حين وحين ، ودارت عجلة الزمن فصمت « البدّ » وتوقف عن العطاء وهجره الناس الى المعاصر الحديثة الكهربائية فغرق في الظلام ولفّه السكون ، وركبت لمسجدنا مكبرات للصوت فلم يعد المؤذن يصعد الى المئذنة في رمضان ، ودخل الراديو والتلفزيون كل بيت فالتف الأطفال الجدد حولهما ولم يعودوا يخرجون ، يفرحون ويغنون للشمس أو المطر ، بل وأصبحوا يخشون الخروج أيام المطر خوف الانزلاق أو البلل وخوفاً من عقاب أمهاتهم اذا عادوا وملابسهم متسخة أو مبتلة .. أطفال جدد لا يعرفون « البدّ » .. حتى الحاج عوض والعم ابراهيم تواريا عن المسرح فقد انتقلا الى رحمة الله تعالى منذ زمن .. لم يعد في الحارة من يستفزه الأطفال ويستفزهم ويطاردهم ويستثير نشاطهم ومرحهم .

كل شيء قد تغير في قريتنا حتى موسم الزيتون ، فلم يعد له بهجة في النفوس . أصبح الناس يرسلون العمال لقطاف الزيتون بينما يبقون هم في منازلهم أو يكتفون بالاشراف على سير العمل من بعيد .. البيادر التي كانت تزخر بالغلال في موسم الحصاد تحوّلت الى منطقة سكنية تتناثر عليها البيوت الحديثة .. ووابور الطحين قد صمت هو أيضاً ولم يعد يوقظ الناس بصوت الدخان المنبعث عبر مدخنته فربّات البيوت، الصغيرات بنات المدارس لا يعرفن غربلة القمح وتنقيته بل لم يعد القمح موجوداً في قريتنا بعد اختفاء البيادر .. العمل في المدن والسفر الى الخارج في طلب الرزق قد استهوى الفلاحين الشباب فهجروا الأرض فضنّت بدورها على الناس بخيراتها وطيباتها ، بعد أن ضنّوا عليها بعرقهم وجهدهم .

كلّ هذه الخواطر مرت في ذهني كالشريط وانا أقف في شرفة بيتنا المطلة على سطح « البدّ » في احدى اجازاتي الصيفية في شهر رمضان . الشمس قد مالت للمغيب وقد ألقت حبالها استعداداً للرسوّ على الشاطيء الغربي بعد رحلتها اليومية المضنية متقهقرة أمام جيش الظلام الزاحف عليها من جهة الشرق . الناس يعودون الى بيوتهم في تثاقل وبطء .. سطح البد خال يمر به الأطفال دون أن يلتفتوا اليه فهم لا يعرفونه ولا يعرفهم .. الدكاكين الصغيرة تغلق أبوابها والحركة في طرقات القرية تهدأ رويداً رويداً كأن النهار يموت شيئاً فشيئاً ويلفظ أنفاسه الأخيرة .. كل شيء هادىء صامت .. لحظات من الترقب والانتظار .. الأسماع مشدودة الى أجهزة الراديو .. والأنظار تسمرت على الموائد الحافلة بما لذ وطاب في انتظار لحظة الافطار .

وانطلق صوت المؤذن عبر جهاز الراديو وسماعة المسجد في آن فغادرت الشرفة الى الداخل وأنا أتنهد وأتمتم : أيام ... كانت أيام ! □

**حسن حسن سليمان / عرعر**

# تقليص حجم ناقلات الزيت

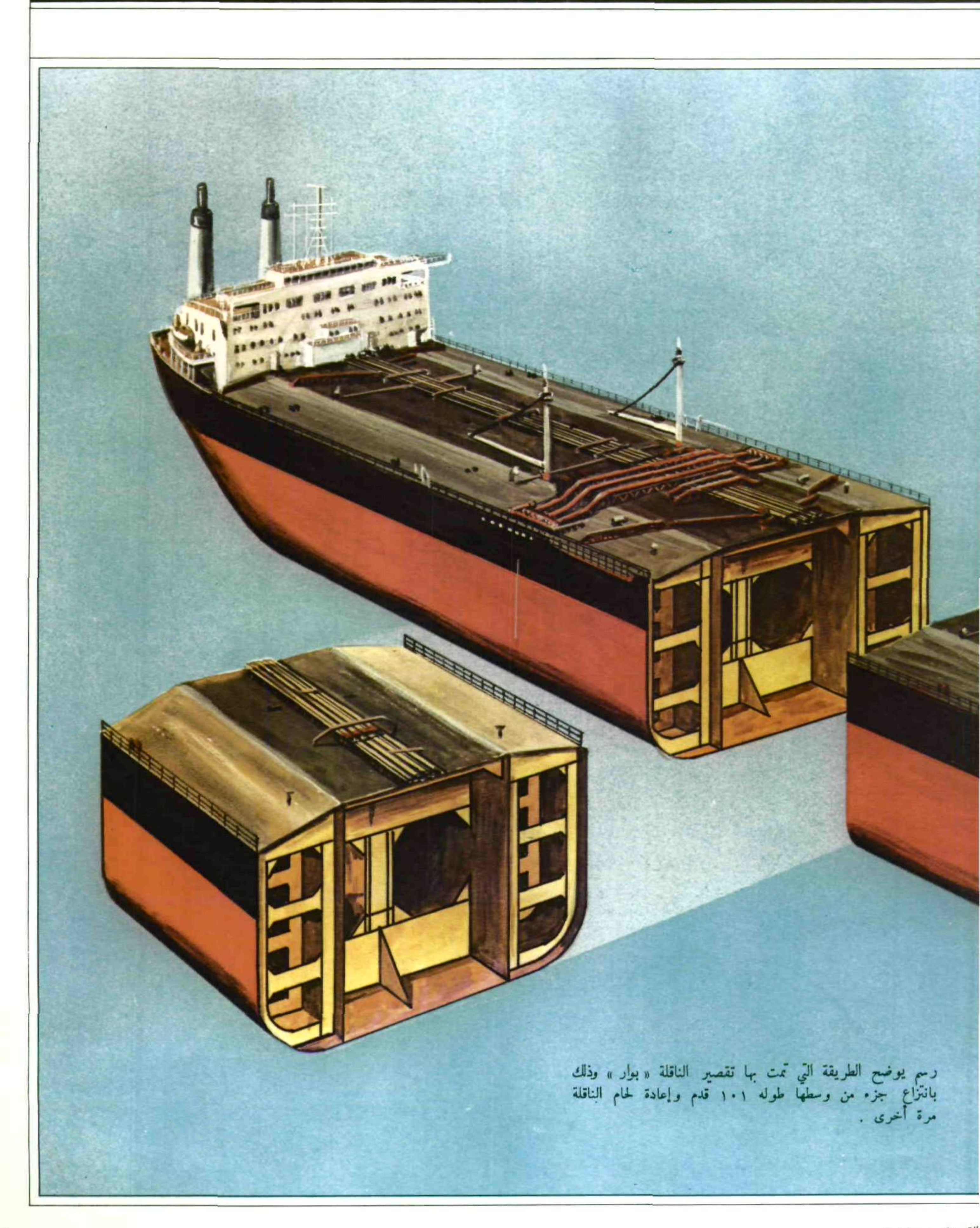
إعداد: يعقوب سلام

يعتبر الزيت الخام في عصرنا الحالي أحد العناصر المهمة التي تلعب دورا رئيسيا في حياتنا الخاصة والعامة ، وهو شريان الحياة بالنسبة للصناعة التي توسعت في استخدام هذه المادة الحيوية حتى أصبحنا لا نجد شيئا مما نستخدمه في حياتنا اليومية إلا وأحد مشتقات الزيت يلعب الدور الرئيسي في تكوينه .

بدأ تاريخ الزيت منذ حوالي مائة عام وكانت الحاجة إليه في تلك الحقبة غير ذي بال إذ كان الاهتمام به واستخدامه منحصرا في أغراض بدائية كالتطبيب ورصف الطرق وطلاء المساكن وغير ذلك من الأمور الثانوية . غير أن الزيت ما لبث أن أحتل مكان الصدارة بالنسبة للطاقة ، وازداد عليه الطلب العالمي ودخل ميدان التجارة العالمية .

كانت البداية في نقل الزيت أن يوضع في أوعية مصنوعة خصيصا لهذه الغاية حيث استعملت أولا البراميل الخشبية ، ثم يتم نقلها عن طريق السفن شأنها في ذلك شأن البضائع الأخرى ، ولم تلبث هذه الطريقة أن استبدلت بتركيب خزانات حديدية داخل هيكل السفينة . ومع اتضاح الفوائد الاقتصادية المترتبة على النقل بالجملة ، نشأت فكرة استخدام هيكل السفينة ذاته كوعاء للزيت بدلا من وسائل النقل الأخرى السابقة ، وكان ذلك بداية لتطور ناقلات الزيت حتى أصبحت كما نعرفها الآن .





رسم يوضح الطريقة التي تمت بها تقصير الناقلة « بوار » وذلك بانتزاع جزء من وسطها طوله ١٠١ قدم وإعادة لحام الناقلة مرة أخرى .

# تاريخ ناقلات الزيت وتطورها

إن أول باخرة لعبور المحيطات تم تصميمها على هذا الأسلوب هي الباخرة « غلوكوف » التي بنيت عام ١٨٨٥ م حيث بلغت حمولتها الإجمالية ٢٣٠٧ أطنان . وكانت المرحلة المهمة الثانية مرور ناقلة الزيت « ميوريكس » بكامل حمولتها عبر قناة السويس وهي أول ناقلة صنعتها شركة شل وحمولتها الساكنة ٥٠١٠ أطنان وقد بنيت سنة ١٨٩٢ م في وست هارتلبوك .

ونتيجة لاكتشاف حقول الزيت في سومطرة وبورنيو فقد طرأ في السنوات الأولى من القرن الحالي تغير مهم على نسق تجارة الزيت ، وقد أسفر ذلك عن إجراء بعض التعديلات في تصميم الناقلات وخاصة في أحجامها .

وخلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى . تم بناء ناقلة عابرة للمحيطات هي الأولى من نوعها في العالم تعمل بقوة المحركات ، وهذه الناقلة هي « فولكانوس » التي بنيت عام ١٩١٠ م . وعلى الرغم من أن هذه السفينة كانت صغيرة الحجم ، إذ أن حمولتها الساكنة لا تتعدى ١٢١٥ طنا . فإنها قد أثبتت نجاح فكرة الدفع بالمحرك مما شجع على بناء عدد كبير من الناقلات تعمل بقوة دفع المحركات والتي يشكل القسم الأكبر منها اليوم أسطول ناقلات الزيت في العالم .

غير أن ازدياد أهمية الزيت بالنسبة للعالم واستخدامه في حقول مختلفة جعل منه مادة مطلوبة باستمرار . وكان هذا الأمر حافزا جديدا لزيادة أحجام ناقلات الزيت . وقد تطورت ناقلات الزيت وازدادت حمولتها وأدخل عليها الكثير من الوسائل الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة . وعلى أثر إزدهار منطقة الشرق الأوسط كمركز مهم لإنتاج الزيت ، وبناء المزيد من معامل التكرير في مناطق الاستهلاك ، والزيادة الهائلة في طلب الزيت الخام من قبل البلدان الصناعية والنامية على حد سواء ، كل هذه الأمور أسهمت إلى حد كبير في تقدم صناعة ناقلات الزيت وتطويرها حيث ظهرت إلى حيز الوجود الناقلات العملاقة التي تزيد الحمولة الساكنة للواحدة منها على ٥٠٠ ٠٠٠ طن من الزيت الخام . وقد ظهر مؤخرا اتجاه جديد للعودة إلى ناقلات الزيت الضخمة التي لا تزيد حمولتها الساكنة على ١٥٠ ٠٠٠ طن ، ذلك أن التوسع في أحجام ناقلات الزيت يستدعي أيضاً توسعاً مماثلا في الموانيء حتى تكون قادرة على استقبال الناقلات العملاقة لتفريغ حمولتها من الزيت الخام ، ونظرا لقلة مثل هذه الموانيء فان الناقلات العملاقة تضطر للتوقف في عرض البحر قرب المواني حيث تضخ الزيت الخام إلى بواخر صغيرة تتردد على الناقلة حتى تكمل تفريغ حولتها من النفط الخام .

ولقد أدركت بعض شركات الزيت التي تملك عددا من الناقلات العملاقة أنها بحاجة إلى ناقلات أصغر حجما وأسرع حركة تستطيع الرسو في العديد من الموانيء وتفريغ حمولتها من الزيت الخام دونما حاجة إلى التوقف في عرض البحر بضعة أيام لتفريغ حمولتها على دفعات متتابعة .

وبعد دراسات مكثفة من الناحية الاقتصادية والعملية والتشغيل أصبح بالإمكان تقليص أحجام الناقلات العملاقة التي تملكها حاليا دون أن تضطر لبناء ناقلات زيت جديدة تكلف مبالغ طائلة .

وتعتبر ناقلة الزيت الكبيرة « اس . اس . بوار » أول ناقلة زيت من أربع ناقلات مماثلة يتم تحويلها إلى ناقلة أقل طولا وأخف حمولة ، وأكثر سرعة . وقد كانت قبل ذلك راسية لفترة ستة أشهر فوق مياه خليج بروني الهادئة ولم تقم منذ عام ١٩٧٨ بنقل أية حمولة من الزيت الخام ، فقدكانت في حالة شبه مقعدة منذ تلك الفترة ، مما يعتبر خسارة كبيرة بالنسبة لناقلة زيت من هذا الحجم كانت من قبل على قدر كبير من الفعالية والنشاط .

تم بناء الناقلة « بوار » عام ١٩٧٠ لحساب شركة ستاندر أف كاليفورنيا . وأنضمت بعد ذلك إلى أسطول الناقلات التي تمتلكها الشركة ، وبلغت حمولتها الساكنة ٢١٢ ألف طن من الزيت الخام ، وكانت الناقلة الكبيرة الأولى التي تمتلكها الشركة ، حيث قامت بنقل الزيت الخام من الخليج العربي إلى هولندا وجزر البهاما وكوريا الجنوبية وكندا وغيرها من البلدان المستوردة للزيت الخام واستمرت في الخدمة الفعالة تجوب البحار ناقلة الزيت مدة ثمانية أعوام .

وفي مطلع شهر يناير عام ١٩٨٠ وصلت الناقلة بوار إلى حوض ميتسوبيشي الجاف لبناء السفن في يوكوهاما باليابان . وخلال ستين يوما تم توضيب الناقلة بوار وإعادة بنائها وتحولت إلى ناقلة زيت أقل طولا وأكثر سرعة وأصبحت حمولتها الساكنة ١٥٠ ٠٠٠ طن . وتقوم حاليا بنقل أكثر من مليون برميل من الزيت الخام الذي تملكه الشركة في كل رحلة تقوم بها من سومطرة إلى معامل التكرير في كل من ريتشموند وآل سيقوندو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة .

ولعل التساؤل الآن هو عن كيفية تحول ناقلة زيت حمولتها الساكنة ٢١٢٠٠٠ طن بغاطس ٦٢.٤ قدم إلى ناقلة زيت حمولتها ١٥٠,٠٠٠ طن بغاطس ٥٢.٨ قدم ، ولماذا يكون هذا التغيير .

بدأت شركة شيفرون للشحن البحري قبل عامين البحث لشراء ناقلات للزيت تتراوح حمولتها الساكنة من ١٠٠ ٠٠٠ طن إلى ١٥٠ ٠٠٠ طن وذلك بهدف إحداث توازن أفضل لأسطول الشحن لديها وخاصة للتجارة البحرية بين أندونيسيا والساحل الغربي للولايات المتحدة . ولم تكن الشركة في ذلك الوقت تملك أية ناقلات من تلك الفئات عدا ماكانت تستأجره منها والتي لن تكون صالحة للاستعمال بحلول عام ١٩٨٠ م . وقد أجرت بالفعل دراسة لشراء ناقلات جديدة أو شراء ناقلات عاملة حاليا . لكن مدير قسم التصميم والإنشاء في شركة شيفرون خرج باقتراح آخر لحل هذه المشكلة . وكان الاقتراح يدعو بأن تؤخذ ناقلتان من أصغر الناقلات الكبيرة جدا التي تملكها الشركة ويصار إلى تصغير حجمها بحيث تتحول من ناقلة زيت حمولتها الساكنة ٢١٢ ٠٠٠ طن إلى ناقلة حمولتها الساكنة ١٥٠ ٠٠٠ طن . وأن يتم تصغير كل ناقلة بانتزاع قسم من الوسط يبلغ طوله ١٠١ قدم ثم يعاد جمع الناقلة مرة أخرى .

وقد وافقت الإدارة على عملية تحويل الناقلات الأربع التي

مقدمة الناقلة « بوار » بعد اقتطاع الجزء الأوسط منها وتعويمه خارج الحوض الجاف أثناء إجراء العملية الفنية للناقلة .

تملكها الشركة وهي ناقلات الزيت الكبيرة جدا «بوار» ، و «هينز» ، و«ماكون» ، و«هيجنز» . وقد تولى المسؤولون في الشركة إعداد التصاميم اللازمة لعملية التحويل ، وإعداد المواصفات الهندسية وأسلوب العمل . وفي الوقت نفسه ، قام قسم الصيانة والشحن البحري في الشركة بإعداد المواصفات اللازمة لتوضيب هيكل الناقلة والآلات بالإضافة إلى إعداد الضوابط البيئية اللازمة . وقد تولى مدير قسم الصيانة والإصلاح المسؤولية الكاملة للأعمال التي ستجري في حوض السفن بالإضافة إلى عملية تقصير طول الناقلة . بعدها طرحت العملية بجميع مراحلها للمناقصة .

وقد تم اختيار سبعة أحواض سفن في سنغافورة واليابان بسبب قربها من موقع وجود الناقلات الأربع المتوقفة عن العمل في بورنيو ، إلا أن الأمر في النهاية تم بتوقيع اتفاقية مع شركة ميتسوبيشي لإنجاز العمل المطلوب في أحواض السفن التي تملكها ميتسوبيشي في كل من يوكوهاما وناجازاكي .

كانت الناقلة « بوار » الأولى من بين الناقلات الأربع التي ستفقد من حمولتها الساكنة ٦٢٠٠٠ طن . وبمهارة القائمين على العمل ، تم اقتطاع جزء يبلغ طوله ١٠١ قدم من إجمالي طول الناقلة البالغ ١٠٣٧ قدما ، مع ترك غاطسها وعرضها دون تغيير .

ويصف أحد المسؤولين في الشركة العملية فيقول ، إنها ببساطة مثل انتزاع الجزء الأوسط من المنضدة التي يؤكل عليها الطعام . ففي يوم واحد تم تعويم مقدمة الناقلة والجزء الأوسط المقتطع منها خارج الحوض الجاف . وقام قارب جر بسحب الجزء الزائد بعيدا بهدف التخلص منه . ثم أعيد تعويم مقدمة الناقلة وأعيدت إلى الحوض الجاف ووضعت في خط واحد مع المؤخرة .

كانت عملية لحام جزئي الناقلة « بوار » المقدمة والمؤخرة ، هي نفس العملية المتبعة في بناء أية ناقلة جديدة وبنفس الأسلوب ومستوى جودة اللحام . والواقع أن الناقلة « بوار » أصبحت بعد تقصير طولها ولحام الجزئين بعد إزالة قسم من الوسط أقوى من ذي قبل ، فالسفينة أو الناقلة كالصندوق الطويل ، فكلما إزداد طول الناقلة ، ازداد سمك الألواح الفولاذية الخارجية . وعندما يجري تقصيرها فإن الألواح الفولاذية بعد عملية التقصير تكون أكثر سماكة عند السطح والجوانب والجزء السفلي مما لو تم بناء الناقلة حسب مواصفات ناقلة أقل طولا . كانت المرحلة الثانية التي تلت تقليص طول الناقلة هي التحديث . وفي هذه المرحلة ، تم فصل خزانات معينة لتخزين ماء « الصابورة » فقط ، وهو نوع من المياه الثقيلة تستخدم في حفظ توازن الناقلة ، كما أضيفت معدات أخرى واقية لضمان السلامة البيئية . وفي الوقت نفسه أجريت للناقلة معظم أعمال الصيانة العادية التي تجرى للناقلات ، وبسبب رداءة الأحوال الجوية لم يكن بالإمكان إتمام جميع أعمال الصيانة المبرمجة أثناء وجود الناقلة في الحوض ، وأقتضى الأمر إجراء أعمال الكشط على هيكل الناقلة وإعادة طلائها أثناء وجودها في عرض البحر .

ولدى عودة الناقلة « بوار » إلى أداء أعمالها المعتادة بعد ستة

أشهر من دخولها الحوض الجاف ، أبدى المسؤولون في الشركة ارتياحهم لهذا الانجاز . فقد أصبحت حمولتها الجديدة الساكنة ١٥٠٠٠٠ طن قادرة على الوصول إلى عدد أكبر من الموانئ البحرية التي كانت لا تستطيع الوصول إليها سابقاً بما في ذلك خليج سان فرانسيسكو . كما أنه بعد أن أصبح طولها الآن ٩٣٦ قدماً ستكون قادرة على الرسو في المراسي الموجودة في ميناء مصفاة التكرير في ال سكوندو والتي لا يتجاوز طولها ألف قدم .

ويعلق رئيس الشحن البحري في شيفرون على عملية التقليص التي أجريت للناقلة « بوار » فيقول : لقد أصبح لدينا الآن ناقلة زيت جديدة ، كما تتوفر فيها جميع المتطلبات الأساسية بالنسبة للسلامة والبيئة والمقاييس المعمول بها في الموانيء والناقلات في الولايات المتحدة والمؤسسة الحكومية الاستشارية والوكالة البحرية التابعة للأمم المتحدة .

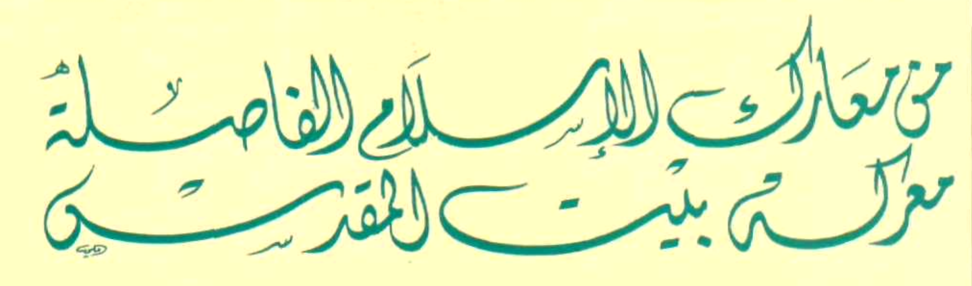
لقد كانت عملية تحويل وتحديث الناقلة « بوار » أجدى كثيراً من الناحية الاقتصادية من بناء ناقلة جديدة أو شراء ناقلة عاملة ستكون بحاجة هي الأخرى إلى إدخال تعديلات رئيسية عليها حتى تصبح في المستوى المطلوب لأسطول الناقلات الذي تملكه شركة شيفرون . وقد رصدت الشركة لبرنامج توضيب وتحويل الناقلات الأربع ما مقداره ١٣ مليون دولار . وستتم عملية التحويل بالنسبة للناقلات الثلاث الأخرى في الوقت المحدد لكل واحدة منها .

هذا ومن الجدير بالذكر أن هناك حوالي ٨٠ ناقلة نفط جديدة أوصت ببنائها شركات النقل البحري العالمية تتراوح حمولتها الساكنة بين ٣٠٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠ طن وستعمل جميعها بالديزل وذلك من قبيل الاقتصاد في الوقود □

**اعداد : يعقوب سلام — هيئة التحرير**



الناقلة « بوار » بعد أن أخذت شكلها ووزنها الجديدين وهي تمخر عباب البحر أثناء إجراء التجارب اللازمة عليها .




بقلم : د . محمد بن علي الهرفي

لا شك أن لبيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مكانة خاصة في نفوس جميع المسلمين .

واليوم وهذا المكان المقدس يرزح تحت نير الاحتلال اليهودي منذ سنوات عديدة جعلت بعض ضعاف النفوس من المسلمين يصابون باليأس من إمكانية عودته إلى حظيرة الإسلام والمسلمين قويا عزيزا كما كان بالأمس قبيل الاحتلال . ولكن غير هؤلاء ممن أشرت إليهم على ثقة كبيرة بنصر الله وهم ينتظرون هذا النصر صباح مساء لأن المؤمن الحق لا ييأس من روح الله . ولهؤلاء شواهد من التاريخ تدفعهم إلى العمل والتضحية والإخلاص حتى يحققوا ما حققه آباؤهم من قبل .

ان بيت المقدس مكث قرابة التسعين عاما تحت حكم الصليبيين في ظروف عصيبة كان فيها المسلمون شيعا وأحزابا واستمر هذا الوضع المؤلم حتى قيض الله لأمته بطلا فاتحا من أبطال المسلمين هو صلاح الدين الأيوبي فأعاد للمسلمين هيبتهم وأعاد لهم قدسهم الشريف .

وللقارىء الكريم أن يتساءل فيقول : وكيف استطاع هذا الرجل تحقيق ذلك النصر العظيم الذي أشرت إليه ؟ وما هي وسائله ؟

وللإجابة أود أن أعود إلى الوراء قليلا فأتحدث باختصار عن ظروف احتلال الصليبيين لبيت المقدس ثم كيف استطاع بطل الإسلام صلاح الدين تخليصه من أيديهم .

من المعروف تاريخياً أن الحركة الصليبية التي اتخذت الطابع العسكري شعارا لها وجعلت هدفها أخذ بيت المقدس بدأت في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد (١) .

وقد كان البابا أربان الثاني صاحب الفكرة والداعي لتحرير بيت المقدس حسب زعمه — وقد وجه دعوته هذه أثناء انعقاد المجلس الكنسي في مدينة « كليرمونت » في فرنسا في شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥ م وطلب من أتباعه توحيد جهودهم لاسترداد بيت المقدس من المسلمين .

وقد استجاب لهذه الدعوة كثير من الصليبيين واتجهت جموعهم إلى بيت المقدس .

وقد كان المسلمون آنذاك يعيشون حالة فوضى لا مثيل لها بل أن كثيرا من أمرائهم كانوا يحالفون الأعداء ضد اخوتهم المسلمين .

يقول « ستيفن رنسيمان » في كتابه « تاريخ الحروب الصليبية » وهو يتحدث عن وضع أمراء المسلمين في الشام في تلك الفترة « وما هو أكثر أهمية عند الصليبيين ما كان من اتجاه أشهر أسرتين عربيتين بني منقذ في شيزر وبني عمار في طرابلس إذ تسيطر الأسرة الأولى على البلاد الواقعة مباشرة أمام الصليبيين والتي تمتد من نهر الأورنت إلى الساحل بينما سيطرت الأسرة الثانية على الشريط الساحلي الممتد من وسط لبنان إلى الطرف الفاطمي وتعتبر صداقة هاتين الأسرتين أو على الأقل حيادهما أمرا جوهريا إذ كان لابد للصليبيين من الزحف جنوبا » (٢) .

وقد أشار غير رنسيمان إلى هذه النقطة فذكر أن عددا من أمراء المسلمين كانوا يتسابقون على إرضاء الصليبيين وتقديم المال والأغذية لهم . يقول الدكتور عاشور في كتابه الحركة الصليبية : « وهنا نجد معظم تلك الموانيء الساحلية تحاول أن تحذو حذو طرابلس نفسها فتحصل على مسالمة الصليبيين بأحسن الشروط الممكنة . من ذلك أن أهل بيروت عندما أحسوا باقتراب الصليبيين منهم عرضوا عليهم إمدادهم بالتموين فضلا عن تقديم مبلغ كبير من المال . كل ذلك مقابل تعهد الصليبيين بعدم الإعتداء على البساتين ومزارع الكروم والغلال المملوكة للعرب . وأكثر من هذا فقد تعهد أهل بيروت بالدخول في طاعة الصليبيين والاعتراف بالتبعية لهم إذا هم نجحوا في احتلال بيت المقدس » .

حاصر الصليبيون بيت المقدس ولم يكن باستطاعة الحامية الفاطمية أن تدافع عنه طويلا فاستطاعوا دخول المدينة في

يوم الجمعة الخامس عشر من شهر يوليو سنة ١٠٩٩ م .

وقد أشار المؤرخون المسلمون والمسيحيون إلى المجازر الرهيبة التي ارتكبها الصليبيون عند دخولهم إلى بيت المقدس . فذكر « ابن الأثير » أنهم قتلوا سبعين ألفا من المسلمين ومن هؤلاء « جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف أما « رنسيمان » فذكر أن الصليبيين « انطلقوا في شوارع المدينة وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز » ثم قال بعد ذلك : « وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني اقتحم باب المسجد قلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين وحينما توجه ( ريموند آجيل ) في الضحى لزيارة مساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء والتي بلغت ركبتيه » (٤) . أما « ابن العبرى » فقال : « ولبث الفرنج في البلد أسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا » (٥) .

وهكذا أخذ بيت المقدس أولا ثم توسع الصليبيون في فتوحاتهم في بلاد الشام وهاجموا مصر أكثر من مرة وكان وضع المسلمين – كما أشرت – يساعدهم على تحقيق مآربهم .

ويشاء الله عز وجل أن يخرج لهذه الأمة نور الدين زنكي الذي استطاع بعد جهاد طويل أن يوحد أمة الإسلام وأن يهزم الصليبيين في أكثر من موقع . وبعد أن توفاه الله استلم مقاليد الأمور – بعد فترة لم تطل – صلاح الدين الأيوبي فجمع المسلمين ووحد جهودهم وهيأهم للدور الكبير الذي يجب عليهم أن يؤدوه ، « وكان صلاح الدين يدرك تماما أنه لا يمكنه القيام بعمل حاسم ضد الصليبيين إلا إذا أوجد وحدة كاملة بين أقطار المسلمين ، فقضى خمسة عشر عاما يعمل على جمع الشمل وأستطاع بعد ذلك أن يكوّن جبهة إسلامية قوية تمتد من برقة غربا إلى الفرات شرقا ، ومن الموصل وحلب شمالا إلى النوبة واليمن جنوباً وكانت الخطوة المنطقية بعد هذه الوحدة هي القيام بهجوم شامل على الصليبيين لتخليص بيت المقدس من أيديهم » (٦) .

وكانت موقعة حطين هي البداية الحقيقية لانتصارات صلاح الدين إذ استطاع في هذه المعركة التي وقعت صبيحة يوم السبت الخامس عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أن يحطم قوى الصليبيين ، وأن يهيىء المسلمين للقضاء على أكبر حركة استعمارية شهدها العالم الإسلامي في العصور الوسطى .

اتجه صلاح الدين إلى بيت المقدس ، وقد استعد الصليبيون للمقاومة ، وكان كل منهم يرى أن « الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس ، ويأخذوه منهم ، ويرى بذل نفسه وماله وأولاده بعض ما يجب عليه من حفظه » (٧) .

« بدأ صلاح الدين حصاره لبيت المقدس يوم الأحد خامس عشر من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ ، ولما اشتد على الصليبيين الحصار وشعروا أنهم عاجزون عن المقاومة أرسلوا في طلب الأمان مقابل الاستسلام ، فأجابهم صلاح الدين بقوله : « لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها » (٨) . وبعد محاولات جادة من قبل الصليبيين وتهديدهم بقتل المسلمين الأسرى في المدينة وإحراق المسجد وافق صلاح الدين على إعطائهم الأمان مقابل فدية يدفعها كل منهم رجلا كان أم امرأة ، فعلى الرجل أن يدفع عشرة دنانير وعلى المرأة أن تدفع خمسة دنانير ، والصبيان يدفع كل منهم دينارا واحدا .

ودخل صلاح الدين مدينة القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ .

وقد شهد فتح المدينة مع صلاح الدين خلق عظيم من العلماء والصالحين وأرباب الحرف « وكان فتحا عظيما شهده من أهل العلم خلق عظيم ومن أرباب الحرف وذلك أن الناس لما بلغهم ما من الله به على يده من فتوح الساحل شاع قصده للقدس فقصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير ، وخطب فيه ، وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلا عظيما ونصر الله الإسلام نصر عزيز مقتدر » (٩) .

وكان لفتح القدس واسترجاعه من أيدي الغزاة الصليبيين وقع عظيم في نفوس معظم شعراء تلك الفترة ، فأقبلوا يمتدحون صلاح الدين ويصفون هذا الفتح الكبير ، ويطالبون بالمزيد من الفتوحات . ومن هؤلاء العماد الأصفهاني الذي تحدث عن هذا الفتح بقصيدة طويلة مطلعها :

**أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا**
**وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا**

إلى أن يقــول :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أناملــه الخمسا
سجيته الحسنى وشيمتــه الرضى
وبطشته الكبرى وعزمته القعسى
جنودك أمــلاك السماء وظنهم
عداتك جن الأرض في الفتك لا الأنسا
فلا يستحق القدس غيرك في الورى
فأنت الذي من دونهم فتح القدسا
وطهرته من رجسهم بدمــائهم
فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها
وألبستها الدين الذي كشف اللبسا
وعادت ببيت الله أحكام دينــه
فلا بطركا أبقيت فيها ولا قسا

ثم يطالبه بالاستمرار في هذه الفتوح الموفقة حتى يجتث الكفر كله ويدمر أهله ويطهر بلاد الإسلام من رجس الصليبيين .. يقول :

توكل على الله الذي لك أصبحت
كلاته درعا وعصمتــه ترسا
ودمر على البــاقين واجتث أصلهم
فإنك قد صيرت دينــارهم فلسا
وبعد الفرنج الكرك فاقصد بلادهم
بعزمك وأملأ من دمائهم الرمسا(١٠)

وفي قصيدة أخرى للعماد الأصفهاني يصف هذا الفتح بأنه لم يكن يخطر على بال أحد من المسلمين ، ذلك أن الملوك قبل صلاح الدين ابتعدوا عنه وتركوه أحقابا دون أن يفكروا باستعادته لصعوبة ذلك عليهم ، واستطاع صلاح الدين أن يحقق ما لم يستطعه غيره . يقول :

أبشر بفتح أمير المؤمنين أتى
وصيته في جميع الأرض جواب (١١)
ما كان يخطر في بال تصوره
واستصعب الفتح لما أغلق الباب
وحام عنه الملوك الأقدمون وقد
مضت على الناس من بلواه أحقاب

ثم يتابع الشاعر قصيدته فيمدح صلاح الدين الذي أعاد للإسلام رونقه ، وكان فتحه للقدس بابا من أبواب الخير حيث استطاع بعد ذلك أن يدمر الصليبيين في أكثر من موقع . ويربط الشاعر بين مكة والقدس فهما توأمان فكما استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهر مكة من الأنصاب والأزلام وكل أنواع الوثنيات استطاع صلاح الدين أن يطهر بيت المقدس من الصلبان بكل أنواعها . يقول :

نصر أعاد صلاح الدين رونقه
إيجازه ببليغ القــول إسهاب
أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه
لقد تجلى الهوى والشرك منجاب
بفتحه القدس للإســلام قد فتحت
في قمع طاغية الإشراك أبواب
نفى من القدس صلبــانا كما نفيت
من بيت مكة أزلام وأنصاب

ولم يقتصر وصف هذا الفتح العظيم على العماد الأصفهاني فقد أطنب الشعراء فيه كثيرا ووصفوا أحداثــه ووقائعــه فمن هؤلاء أبي علي الحسن بن علي الجويني فقد وصف هذا الفتح ، وتحدث عن وقعه في نفوس المسلمين ومدح صلاح الدين فقال :

جند السماء لهذا الملك أعــوان
من شك فيهم فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما نحكيه في زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده
صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا
كم من فحول ملوك غودروا وهم
خوف الفرنجة ولدان ونسوان
تسعون عاما بلاد الله تصرخ والـ
إســلام أنصاره صم وعميان
والآن لبى صــلاح الدين دعوتهم
بأمر من هــو للمعوان معوان
لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد
تنزلت فيــه آيـــات وقرآن
فالله يبقيك للإســلام تحرسه
من أن يضام ويلفى وهو حيران(١٢)

واليوم وقد أصبح المسجد الأقصى يرزح تحت نير الاحتلال يتطلع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلى من يعيد لهم مرة أخرى ســيرة صلاح الدين فيعيــد لهم قدسهم ومجدهم و « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بــأنفسهم** » وهو القــائل : « **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** » □

**د . محمد بن علي الهرفي**
**مدير عام كليات البنات / الدمام**

المراجع :

(١) الحركة الصليبية – د . سعيد عاشور ص ١٢٥ .
(٢) تاريخ الحروب الصليبية – رنسيمان ستيفن ج ١ ص ٣٧٦ .
(٣) الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٣٢ .
(٤) تاريخ الحروب الصليبية – رنسيمان ج ١ ص ٤٠٤ .
(٥) تاريخ مختصر الدول – ابن العبري ص ١٩٧ .
(٦) قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص ٨٤ .
(٧) الكامل – ابن الأثير ج ١١ ص ٥٤٦ .
(٨) المرجع السابق ج ١١ ص ٥٤٧ .
(٩) الروضتين – أبو شامة ج ٢ ص ٩٤ .
(١٠) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠١ .
(١١) يخاطب الشاعر في هذه القصيدة أمير المؤمنين الخليفة الناصر .
(١٢) الروضتين ج ٢ ص ١٠٤ .

# حول تخطيط المناطق الصناعية وتنفيذ منشآتها

بقلم : حمزة شيلاق

يعد الانفجار السكاني العام وارتفاع معدلات الهجرة من الأرياف إلى المدن ، وما يعني ذلك من إتجاه نوعي نحو مجالات التصنيع على حساب الاقتصاد الزراعي ، من الدلالات الأساسية التي تفرض نفسها أمام عملية التخطيط على مستوى المناطق ، وقبل أن تستفحل النتائج الاجتماعية والاقتصادية السلبية لهذه الدلالات يكون لتخطيط المناطق ضرورته التي لا غنى عنها في مجالات التطوير والتقدم الشاملة :

وتخطيط المناطق الصناعية Industrial-Loneplaning ، هو جزء من عملية تخطيط المناطق ويتطلب تحقيقه إجراء مسح شامل لقدرات المنطقة المعنية وحركتها نحو المستقبل ، وهذا بدوره يتطلب :

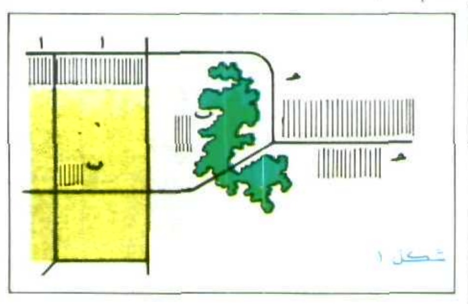
- دراسة الإمكانات الأساسية من حيث جيولوجية المنطقة ومصادر الطاقة فيها ، ثرواتها الاقتصادية ومدى استغلال هذه الثروات في وضعها الحالي والمنظور .
- دراسة الوضعية الحالية لشبكة المواصلات للإستفادة منها مبدئيا قبل إجراء التغييرات الضرورية التي تتضمنها عملية تخطيط المنطقة الصناعية .
- تحديد الأراضي المخصصة للمنطقة الصناعية وتلك المعدة للسكن والمرافق العامة . وهذا يتطلب المحافظة على الأراضي الزراعية المستغلة أو تلك التي يجري إصلاحها لفائدة الاقتصاد الزراعي ، وارتباطها بشبكة المواصلات وذلك حتى لا يكون مسار التوجه نحو تصنيع المنطقة على حساب الاقتصاد الزراعي .
- مراعاة الأصول الوقائية للسكان ومصادر المياه في المنطقة لتكون بعيدة عن عوامل التلوث المنتظرة . ويتطلب هذا دراسة شبكات المياه والمجاري وخطوط الكهرباء وغيرها وعلاقتها بالمنشآت الصناعية الجديدة ومرافقها التابعة .

كما أن الحماية المسبقة من التلوث تستدعي دراسة المناخ المحلي — Microclimate للمنطقة من حيث سرعة الريح وإتجاهها إلى جانب العناصر المناخية الأخرى والتي تلعب دورا أساسيا في درجة التلوث ، كدرجة الحرارة اليومية وفروقها ثم الإشعاع الشمسي ونسبة الرطوبة .

- يتم تخطيط المنطقة الصناعية على مراحل متتابعة . ومن هنا يجب تحديد هذه المراحل مسبقا ، من حيث شكل وحدود ترابط كل منها بعملية التخطيط الرئيسية .

## موقع المنطقة الصناعية بالنسبة للمدينة

هناك ثلاثة احتمالات ممكنة لموقع المنطقة الصناعية من المدينة تبعا لنوعية الإنتاج الصناعي فهي إما أن تكون داخل المدينة ( ضمن احيائها ) أو في محاذاة المدينة ( على المداخل والمخارج المؤدية إليها ) أو خارج المدينة ( أنظر شكل رقم ١ ) .



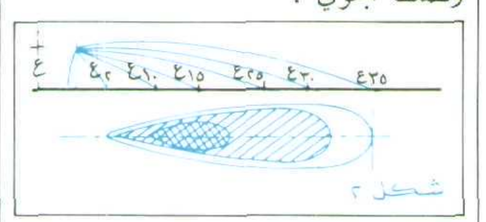

ثلاثة احتمالات لموقع المنطقة الصناعية بالنسبة للمدينة .
أ — في محاذاتها ب — داخلها .
ج . خارجها .

إن قليلا من الصناعات الخفيفة والتي لا ينتج عن عملية تصنيعها أي آثار على البيئة نستطيع أن نقيم منشآتها داخل إطار المدينة أو في محاذاتها .

ويشترط في ذلك أن تكون تلك المنشآت مقبولة معماريا ومتناسقة مع ما حولها من مبان في المظهر الخارجي وذلك محافظة على اللون والطابع المعماري الذي تختص به المدينة أو الحي .

أما باقي الصناعات والتي لا تخلو معادلة انتاجها من مؤثرات كيميائية — فيزيائية في مجال التلوث فيجب أن تبقى خارج حدود المدينة بشكل يضمن سلامة الأحياء السكنية والمرافق المدنية العامة من عوامل التلوث الصادرة عنها والتي يمكن حصرها في : الضجيج ، والصدمات ، والإهتزازات ، والغبار والهباء ، والدخان ، والإشعاعات المختلفة ، والروائح الكريهة ، والغازات ، والبخار .

ويبين الشكل رقم ( ٢ ) كيف تنتقل عوامل التلوث المختلفة بشكل « اهليجي » باتجاه مسار الريح . ويكون هذا المسار متأثرا بالعوامل المناخية الأخرى كالحرارة والرطوبة النسبية والضغط الجوي .




إنتقال عوامل التلوث بشكل اهليجي ( بيضوي ) باتجاه مسار الريح . ( ع ) هي ارتفاع مصدر التلوث عن مستوى الأرض .

وهناك أيضاً عامل آخر يؤثر على انتشار التلوث هو ارتفاع مصدر التلوث نفسه عن سطح الأرض وقد رمز له في الشكل بالحرف « ع » فالريح الشديدة تشتت دائرة التلوث وتقلل بذلك من تركيزها . بينما تسمح الظروف المستقرة للطقس وخاصة في حال وجود الضباب من اتساع دائرة التلوث إلى مسافات أبعد وتحافظ على تركيزها . والوسيلة الفعالة للوقاية من التلوث هي التخلص من الفضلات الضارة في مواقع انتاجها وذلك بوضع المرشحات على فوهات الأنابيب .

كما أن هناك طريقة جيدة في مجال الوقاية تقوم على أساس غرس أحزمة من الأشجار بين المناطق الصناعية والمناطق الأخرى المخصصة للسكن أو الانتاج الزراعي حيث يكون لها دور فعال في ترشيح وتصفية خليط الهواء والغازات من الدقائق الترابية ومن بعض المركبات الغازية الضارة .

## تنظيم المساحات المخصصة للمنشآت

تختلف المساحة التي يقوم عليها مشروع صناعي ما تبعا لعوامل كثيرة أهمها قدرة المصنع

الانتاجية ونوعية الانتاج الصناعي إلى غير ذلك من العوامل والتي تدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في تخطيط المنطقة الصناعية بكاملها .

وتزداد المساحات المخصصة لمباني المرافق والخدمات تبعا لحاجة المصنع ذاته من حيث انتاجيته وحجم اليد العاملة فيه .

ويبين الشكل رقم (٣) رسما تخطيطيا لوحدة صناعية كاملة مختصة في التجهيزات البنائية ومواد البناء المختلفة بما فيها الأجزاء الخرسانية للمباني من حوائط وبلاطات للأرضيات والأسطح وورش للألمنيوم والخشب والحديد ومعامل للرخام والبلاط والطابوق إلى جانب مستودعات لمواد البناء وتجهيزاته المختلفة .

أن تنظيم وحدة صناعية كاملة كما هو موضح في الشكل نفسه يعني بالضرورة مراعاة أصول تخطيط المناطق التي ذكرناها بالإضافة إلى ما سنأتي على ذكره من شروط خاصة بالمنشآت الصناعية ذاتها .

تتم دراسة كل مرحلة من مراحل التنفيذ بتفاصيلها بعد الانتهاء من وضع أكثر الحلول ملاءمة لشبكة المواصلات ، وحركة الآليات عليها ، وكذلك شبكات المياه والمجاري ، والكهرباء ، والهاتف وعلاقاتها بالشبكة الرئيسية للمنطقة في حال وجودها. أما في حال عدم وجودها فيجرى عمل شبكة المياه والمجاري بشكل خاص للمنطقة الصناعية المعنية .

ويختلف تنظيم المناطق الصناعية عن المنطقة السكنية من حيث كثافة البناء ، أي أن المساحة الانشائية للمباني والمنشآت المختلفة بالنسبة للمساحة الإجمالية للمنطقة في المناطق الصناعية تتراوح بين ٢٥ و ٣٥ في المائة .

## تنظيم المنشآت في المنطقة الصناعية

من أهم الشروط التي تنبغي مراعاتها عند تصميم المجمعات الصناعية في المناطق الحارة ، وخاصة ما يتميز منها بالرطوبة ، هو استخدام الأسس المثلى لتوجيه المباني ، مثل عدد طوابقها ، أو ارتفاعها وأسس ترجيح النوافذ والفتحات .

وهناك مجموعة من التدابير والإجراءات لابد من الإلتزام بها للحصول على أسلوب أفضل للتهوية والإضاءة الطبيعية ، ومن أهم هذه التدابير مراعاة أصول السلامة في المجمعات الصناعية ، سواء داخل الورشة الصناعية أو خارجها في حدود المنطقة الصناعية .

إن الإخلال بأي شرط من شروط التخطيط العام للمنطقة الصناعية أو بشروطها المتعلقة بالتهوية والإنارة وطريقة الإنشاء ، يعني إخلالا مباشرا بسلامة العمل وتعريضه للمخاطر .

وبالنسبة للنظام الإنشائي فإنه لا يمكن التقيد بشروط مسبقة في المجمعات الصناعية . إذ أن اختيار النظام الإنشائي يعتمد في الأساس على ما تفرضه الشروط المطلوبة للتهوية والإنارة في نطاق الظروف المناخية المحلية ، إلى جانب ما تتطلبه وظيفة المنشأة الصناعية .

شكل ٣ تنظيم الوحدة الصناعية

مقياس الرسم ٣٥م ٧٠م ١٠٥م

١ – مدخل خاص بالشاحنات والآليات ـ إلى الورش
٢ – مدخل لمباني الإدارة ( رئيسي ) .
٣ – موقف سيارات لمباني الإدارة والمرافق .
٤ – موقف شاحنات وآليات .
٥ – مباني الإدارة والفنيين .
٦ – مبنى خدمات عامة .
٧ – مطعم العمال .
٨ – مختبر .
٩ – ملاعب للرياضة .
١٠ – ورشة تصليح وصيانة السيارات الصغيرة .
١١ – ورشة تصليح وصيانة الآليات والشاحنات .
١٢ – مستودع مواد بناء خاصة بالعزل الصوتي والحراري.
١٣ – مستودع أدوات صحية وتوابعها .
١٤ – إدارة المستودعات .
١٥ – إدارة مصنع الخرسانة الجاهزة .
١٦ – ورشة تصنيع العناصر الإنشائية الصغيرة بالخرسانة .
١٧ – ورشة تصنيع بانوهات الخرسانة المسلحة .
١٨ – ورشة معالجة واختبار للعناصر الخرسانية الجاهزة .
١٩ – خزانات الوقود .
٢٠ – موقف للمعدات والآليات – مستودع مكشوف .
٢١ – ورشة البلاط .
٢٢ – ورشة الرخام .
٢٣ – ورشة الخشب .
٢٤ – ورشة لأعمال الخشب الدقيقة .
٢٥ – ورشة الحديد .
٢٦ – ورشة الطابوق .

## التهوية في المنشآت الصناعية

يتم توجيه مباني ومنشآت المجمع الصناعي تبعا لتأثير ومسار الرياح المحلية إلى جانب العوامل الأخرى التي سبق ذكرها . وقد رأينا دور الريح الرئيسي في انتشار عوامل التلوث الناجمة عن المنشآت الصناعية ، وتوجيه مسارها بشكل « اهليليجي » تختلف كثافة تركيزه تبعا لسرعة الريح ومعدلات الرطوبة والإشعاع الشمسي ، وارتفاع مصدر التلوث عن مستوى الأرض .

وعليه فإن توجيه المنشأة الصناعي يجب أن يكون ملائما بحيث يتدنى تأثير التلوث على

المحيط إلى أقل درجة ممكنة .

أما النظام الإنشائي فيجب أن يكون على استعداد لتحمل قوة دفع الريح للمبنى ، وهذا يستدعي مرونة انشائية عند التصميم ، وإختيار المواد المناسبة ، ودراسة جيدة لعناصر الإنشاء المختلفة من أعمدة و « كمرات » وكيفية تنفيذ الوصلات فيما بينها .

وفي المناطق الحارة تكون الحاجة ماسة إلى تحسين المناخ المحلي—Microclimate داخل المنشآت الصناعية وذلك بتوفير الظروف المقبولة ، التي تساعد على قيام الإنسان بالأعمال الفعالة .

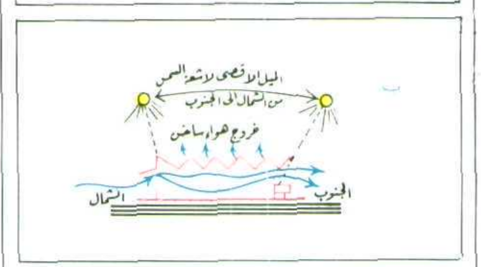
هناك أمثلة كثيرة لمناطق صناعية كاملة منفذة في كثير من مناطق العالم الحارة والجافة أو الحارة الرطبة ، ونورد هنا مثالا لمنشآت مصانع « فولكس واجن » في فنزويلا للتعرف على بعض الأساليب التي استعملت فيها بنجاح من أجل الحصول على تهوية ناجحة ( أنظر الشكل ٤ أ ، ب ، ج ) .

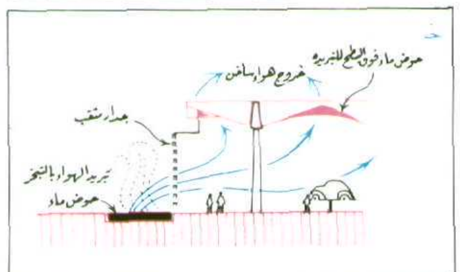
فالمبنى الرئيسي تم توجيهه بشكل يتلاءم مع اتجاه الرياح السائدة . وابعاد المبنى هي ١٢٠ × ٦٠ م والإرتفاع الخالص هو ٧ أمتار . أما السقوف فقد صنعت من عناصر قشرية Shell Elements على هيئة قموع وذلك لأجل الحصول على أحسن التأثيرات والخواص الايروديناميه Aerodynamic .

هذه العناصر القشرية القمعية الشكل تبلغ أبعادها ١٢ × ١٢ م وتكون بمثابة حاجز يعكس ٦٠ ٪ من الإشعاع الشمسي المباشر ( شكل ٤ أ ، ب ) .

إن هذه القطع المكافئة Paroboloids للسقف ، مائلة قليلا نحو الشمال ، وبفضل ذلك تتكون فتحة قطرها ١,٥ م تستخدم لأغراض التهوية والإضاءة الطبيعية ، وتتحسن التهوية الطبيعية بفضل استخدام فتحات واسعة من الواجهتين الشمالية والجنوبية في جدار ذي ثقوب مطوق بألواح عارضة Baffle Plates على ارتفاع الحائط بأكمله . وقد وضع عند الجدار خزان أو حوض صغير للماء يؤدي عند تبخر الماء منه إلى تبريد الهواء الذي يدخل عن طريق الجدار المثقب إلى صالة العمل فيطرد بذلك الهواء المسخن من الصالة ( أنظر الشكل ٤ ج )

وبفضل الخبرة الطويلة في مجال التصميم




أ ) الواجهة طولية للمصنع

ب ) الواجهة العرضية للمصنع .

ج ) تفصيلة الجدار المثقب في المصنع وعملية التبريد والتهوية بواسطة أحواض الماء من الجهتين الشمالية والجنوبية .

والإنشاء لمثل هذه المناطق الحارة سواء كانت جافة أو رطبة ، فقد أمكن التوصل إلى تطوير طرق فعالة من شأنها خفض درجة حرارة المباني والمنشآت ، ومن هذه الطرق :

- استخدام السقوف ذات الأشكال المنكسرة أو المتعرجة التي تساعد على تقليل زاوية سقوط الأشعة .
- استخدام سقوف تحتوي على فراغات كبيرة كعازل حراري .
- إنشاء أحواض مملوءة بالماء فوق السطوح ، حيث يؤدي تبخر الماء فيها إلى تبريد السطح بشكل فعال . كما في الشكل ( ٤ ج ) .
- تغطية السطوح برمال **فاتحة الألوان** ، لها معامل إنعكاس يساوي ٦٠ ٪ ، أي أنها تعكس ٦٠ ٪ من الإشعاع المباشر على السطح.
- تغطية السطوح برقائق من المواد الاصطناعية Synthetic Materials — ذات الألوان الفاتحة إلى جانب طرق أخرى عديدة .

## وللحصول على تهوية فعالة يجب ملاحظة ما يأتي :

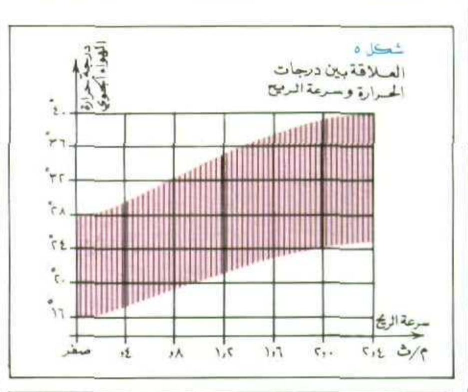
- الفروق في درجات الحرارة اليومية حيث تشكل عاملا أساسيا في تحديد سرعة الريح . ففي المناطق الحارة تنخفض درجة الحرارة مع حلول المساء ويشكل هذا الهبوط دورة للهواء البارد والساخن فتصبح حركة الهواء أسرع ، تنشط أحيانا لتصل في المعدل إلى ١,٣ م / ثانية . وفي الصباح الباكر يتكرر الوضع حيث يبدأ الجو بالاحترار .

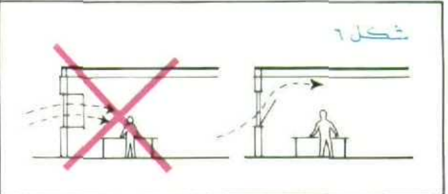
وبشكل عام فإن حركة الهواء تزداد بإرتفاع درجات الحرارة كما يبين الشكل رقم ( ٥ ) . ولكن الذي يحصل أحيانا هو أن نسبة الرطوبة العالية تحد من سرعة الريح وبالضبط من نشاط التيار الهوائي ، خاصة في الساعات التي تلي مباشرة منتصف النهار حين تكون الذرات المتبخرة قد وصلت إلى أقصى معدلاتها .

- الفروق بين درجات الحرارة داخل المنشأة الصناعية وخارجها ، حيث تشكل تيارا محليا يزداد نشاطه باتساع الفارق الحراري بين الداخل والخارج .
- تنظيم الفتحات في واجهات وسقوف المنشأة ، فهي تتحكم إلى حد كبير بمسار التيار الهوائي ، فاذا ما كانت التهوية المتبعة طبيعية فإن مساحة الفتحات تصل إلى ٦٠ ٪ من مجموع مساحات الواجهات والأسقف . وتكون فتحات خروج الهواء العلوية ضرورية سواء في السقوف أو على ارتفاعات عالية من الواجهات حين تكون فروق الحرارة الداخلية والخارجية منعدمة أو قليلة وذلك من أجل إيجاد التيار الهوائي اللازم ( أنظر الأشكال ٤ أ ، ب ، ج ، ٥ ) .

وفي الشكل ( ٦ ) توضيح لكيفية فتح النوافذ إذ يجب أن يتم فتح النوافذ حول محورها الأفقي السفلي أو الأوسط ، ومن الخطأ فتح النافذة حول محورها العامودي أو حول محورها الأفقي العلوي لأن ذلك يجعل مسار التيار الهوائي منخفضاً مما يترتب عليه إعاقة العمل .

أما تلك الفتحات التي في السقوف أو التي يزيد ارتفاعها على مترين ، فإن التحكم بفتحها وإغلاقها يجب أن يتم بطريقة أوتوماتيكية .




الطريقة الصحيحة لفتح النوافذ

الطريقة الخاطئة التيار الهوائي يشكل ازعاجاً للعاملين .

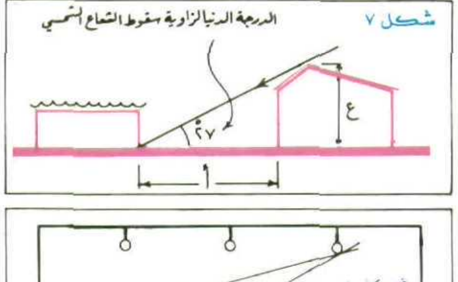
## إنارة المنشأة الصناعية

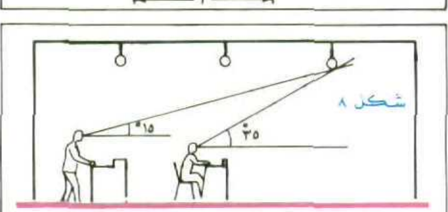
نظام الإنارة — Lighting System ويمكن أن يتم بالإنارة الطبيعية أو الاصطناعية أو بكليهما . وتؤكد الدراسات التي أجريت خلال العقد الفائت أنه من المستحسن ألا يتم المزج بين النظامين الطبيعي والاصطناعي في إنارة المنشآت الصناعية خلال ساعات النهار ، بل يجب الاعتماد على واحد منهما بشكل دائم وعليه يجب أن تخضع التصميمات العامة وتنظيم الفتحات لتأدية وظيفتيهما ضمن ما تحدده الدراسات المسبقة للمشروع من حيث نوعية الإنارة .

والمهم في الأمر هو أن تكون إضاءة الصالات الصناعية متساوية في قوتها ، وذلك يتم بحسن إختيار المصدر الضوئي ووضعه من الصالة ، وهو ما يخضع في الأساس لما ذكرناه سابقاً من أهمية توجيه المبنى بالنسبة للجهات الأربع ، وتنظيم المنطقة الصناعية من حيث دراسة العلاقة بين ارتفاعات المباني والمسافات الأفقية التي تفصلها عن بعضها ( كما يبين الشكل رقم — ٧ ) .

إن مزج النظامين الطبيعي والاصطناعي يكون مقبولاً في ساعات الصباح الباكر أو في الساعات الأولى من المساء . وبالضبط عندما تكون قوة إنارة الفضاء الخارجي أقل من ٥٠٠٠ لوكس ( اللوكس — Lux هو وحدة لقياس كثافة الدفق الضوئي ) . ويبين الشكل رقم ٨ كيفية توجيه المصدر الضوئي من مكان عال وبشكل مائل قليلا بحيث لا يشكل انتشار الضوء انعكاسات ضوئية تؤذي أبصار العاملين .

أما إذا كان الضوء الطبيعي نفسه يشكل انعكاسات ضوئية مؤذية خلال النهار فيجب استخدام ستائر أو أنواع قاتمة من الزجاج ، أو عمل « خرجات » معمارية في الواجهات نسميها عادة كاسرات الشمس —Sun Breakers أفقية أو عمودية حسب توجيه المبنى وزاوية سقوط الشعاع الشمسي .




العلاقة بين المباني الصناعية من ناحية تنويرها الارتفاع (ع)
المسافة بين منشآتين صناعيين (مبنيين) (أ) .
أ = ٢ ع في الحد الأدنى .
أ = ٢٠ متراً في الحالات العادية .
توجيه المصدر الضوئي في صالة المصنع .
انتشار الضوء لا يشكل انعكاسات تزعج العاملين .

## السّلامة في المنشآت الصناعيّة

يحتل موضوع السلامة الصناعية مكانة ذات أهمية بالغة في مجال تخطيط الصناعة وتنفيذ منشآتها . فعلى مستوى التخطيط يلعب موقع الوحدات الصناعية دورا بارزا في تحديد مدى سلامة هذه الوحدات ، كما أن لترتيب وضع المباني والمنشآت وكيفية توزيع المساحات وشبكة المواصلات وحركة السير عليها أهمية كبرى في هذا المجال .

أما على مستوى المنشأة الصناعية نفسها ، فإن لوظيفة المنشأة أهمية في تحديد نوعية الإنتاج ومن ثم المعدات والآلات المستعملة وعدد العاملين فيها . هذا إلى جانب تحديد مادة البناء المستعملة وأسلوب الإنشاء . ولكن ما هي الأخطار التي تتعرض لها سلامة المنشأة الصناعية والعاملين فيها ؟

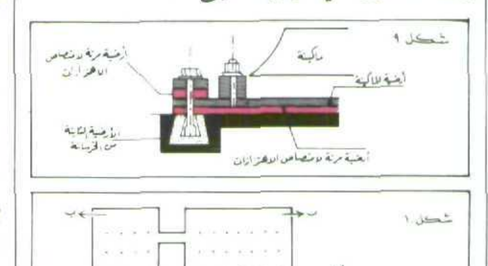
- تعتبر أفران الإحتراق في الصناعات التحويلية أول هذه الأخطار . ويمكن القول بأن جميع المصادر الحرارية تشكل خطرا على السلامة بنسب متفاوتة .
- هناك أيضاً الغبار والهباء حين احتوائهما على نسبة كبيرة من المواد السامة أو المواد القابلة للإنفجار أو الاشتعال .
- الغازات السامة أو تلك القابلة للإنفجار أو الاشتعال .
- الضباب الشديد .
- الاهتزازات والارتجاجات الصادرة عن الآلات والمعدات المختلفة .
- الحرائق والانفجارات الناجمة عن أخطاء في الشبكة الكهربائية أو مصادر الطاقة الأخرى .
- الإشعاعات الضارة .

على ضوء هذا يمكن لنا أن نوجز الملاحظات التالية في مجال تنفيذ المنشآت الصناعية والمتعلقة بسلامتها :

- المنشآت الصناعية التي تحتوي على أفران احتراق وكمائن للاشتعال يجب أن يراعى تحديد موقعها من الوحدات الصناعية الأخرى على مستوى تخطيط المنطقة الصناعية مسبقا . ويدخل ضمن هذه ، المنشآت أو المستودعات التي تحتوي على مواد قابلة للاشتعال .
- عزل الأفران داخل الوحدات التي تضمها بعوازل حرارية فعالة وذلك للحيلولة دون إمتداد الحرارة الصادرة عنها إلى مساحات أكبر لدى تشغيلها .
- بناء الأساسات والأرضيات في المنشآت التي تضم آلات ذات الاهتزاز بطريقة خاصة وحسب القاعدة الأساسية فإن « الماكينات » التي تحدث ضربات أو صدمات أو تلك التي يحدث عن تشغيلها إهتزازات متتابعة ، يجب أن تحدد أماكنها على أرضيات مرنة تخفف من امتداد

موجات الإهتزاز أو من قوة الصدمة على الأجزاء الأخرى للمنشأة ( أنظر الشكل رقم — ٩ ) .

• بالنسبة للحريق أو الانفجار ، فإن أهم عامل للسلامة في هذه الحالات هو سرعة إخلاء المبنى أو المنشأة ويوضح الرسم ( رقم — ١٠ ) مخططا لإحدى الوحدات الصناعية يبين المداخل والمخارج والمسافات المعتمدة في تنظيم وضعيتها . ويعتمد هذا على عدد العاملين ، وحجم المنشأة وعدد الأدوات فيها .. ففي المنشآت ذات الطابق الأرضي يجب ألا تزيد المسافة القصوى بين مكان وجود العامل وبين المخرج على ٣٠ مترا ، في حين تقل هذه المسافة إلى ١٥ مترا في الوضع الذي يكون فيه مكان وجود العامل محصورا بين حائطين في زاوية المبنى .




أ — مدخل ومخرج رئيسي

ب — مخرج احتياطي

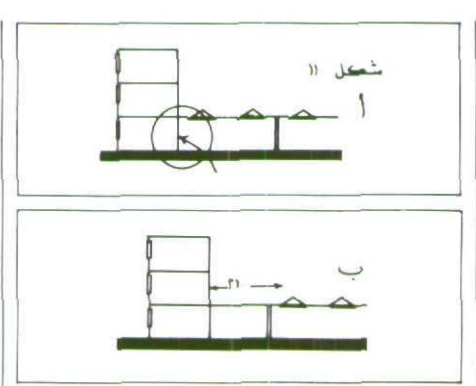
حـ — درج بين الأدوار

س — المسافة بين موقع العمل والدرج (حـ) لا تزيد عن ٣٠ متراً .

ص — المسافة بين موقع العمل المصور في الزاوية وبين الدرج (حـ) لا تزيد عن ١٥ متراً .

أما النوافذ فيجب ألا يزيد ارتفاعها عن أرضية المنشأة أكثر من متر واحد في الطابق الأرضي ، وعلى ١,٥ متر في الطوابق العليا . أما في المنشآت التي تزداد فيها نسبة الخطورة الناجمة عن الحريق ، فيمكن تزويدها بسلالم جاهزة معلقة على الواجهات .

وتفاديا لإمتداد الحريق من مبنى إلى آخر ، تتخذ الاحتياطات اللازمة على مستوى التخطيط العام والإنشاء . فعلى مستوى التخطيط يجب ألا تقل المسافة بين المباني عن ٢٠ مترا ، كما يجب أن تزال جميع العوائق وأعمال الردم حول المباني وأن تمهد الأرض جيدا وذلك لتمكين

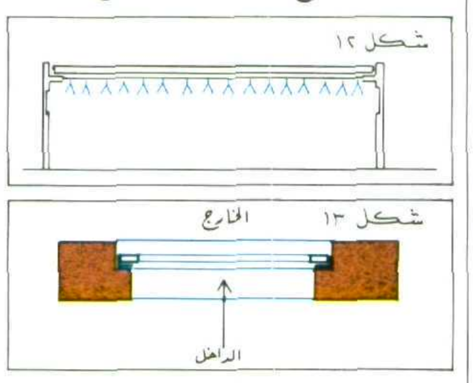



في عدم وجود حائط عازل بين المبنيين يجب أن تكون فتحات السطح في المبنى الى اليمين بعيدة ١٠ أمتار على الأقل عن حائط المبنى الى اليسار .

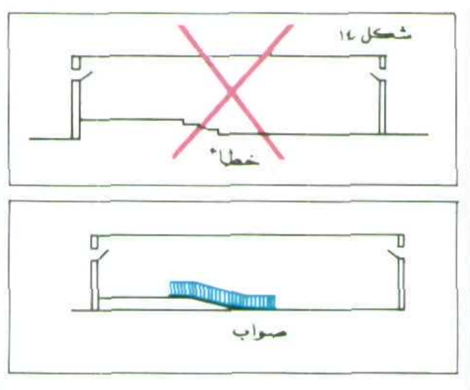
عربات الاطفاء والاسعاف من العبور والحركة بحرية وسهولة حول المبنى .

أما على مستوى الإنشاء ، فإن منع امتداد الحريق يتم كما هو مبين بالشكل ( ١١ أ ، ب ) باتخاذ الاحتياطات اللازمة مسبقا . ففتحات السطوح في أية منشأة صناعية يجب أن تكون بعيدة على الأقل نحو عشرة أمتار عن حائط المنشأة الأخرى الملتصق به . كما يجب أن يتم عزل المبنيين ببناء حائط عازل ضد الحريق . كما ويمكن وضع فواصل عازلة في الأرضيات لمنع امتداد الحرائق .

• في المنشآت الصناعية التي يخشى من وقوع انفجارات بداخلها نتيجة وجود مراجل للتسخين أو معاملة للغازات أو ما شابه ذلك ، تبنى السقوف بحيث تكون منفصلة إنشائيا عن جدران المبنى كما هو موضح في الشكل رقم ١٢ . أما النوافذ فتصنع أيضاً بفرز للخارج كما في




السقوف منفصلة انشائياً عن حوائط المبنى الى جانب كونها من مدة وانشاء خفيفين . مواسير شبكة المياه المعدة لاطفاء الحريق تحت السقف مباشرة وتفتح اتوماتيكياً حال اندلاع الحريق .




في حال اختلاف المنسوب في نفس المبنى تعمل منحدرات Ramp ويتم تحاشي عمل الدرجات .

الشكل رقم ١٣ بحيث يسمح لها بأن تتطاير في الاتجاه المعاكس في حال وقوع الانفجار .

ومن المستحسن أن يتم تمديد شبكة مياه الإطفاء داخل المبنى في السقوف بحيث تنفتح أتوماتيكيا .

• عدد العمال ونوعية الإنتاج الصناعي يفرضان تحديد قياسات الممرات والسلالم والمصاعد داخل الوحدات الصناعية . ولابد من الإشارة إلى أن العرض الأدنى للممرات يجب ألا يقل عن ١٢٠ سنتيمترا في أي حال من الأحوال .

وفي حال وجود مناسيب مختلفة الارتفاع في أرضية الطابق الواحد فإن حلها لا يكون عن طريق عمل سلالم بل بواسطة منحدرات Ramps لا يزيد نسبة ميلها على ١٠ ٪ في أقصى الحالات ، وأن تكون محمية بدرابزين لا يقل ارتفاعه عن ٩٠ سنتيمترا ( أنظر الشكل رقم — ١٤ ) .

فمن خلال الملاحظات السالفة الذكر ، سواء منها ما كان على مستوى تخطيط المناطق لمجمل المنطقة الصناعية أو على مستوى المنشآت الصناعية منفردة ، نستطيع أن ندرك مدى الترابط المتكامل بين الأثنين .

وبعد ... فإن الأخطاء أو العيوب التي تقع في التخطيط تكتشف عند البدء بتنفيذ مشروع المنطقة الصناعية مما يقتضي تغيير وضع المباني الأمر الذي يترتب عليه إجراء تعديلات أو تغييرات في شبكة المواصلات وكذلك في توجيه المنشآت . وهكذا ينفرط العقد الذي يبدأ بالتخطيط الشامل للمناطق الشامل وينتهي بأدق التفاصيل في تنفيذ المنشآت الصناعية □

**حمزة شبلاق — بيروت**

# العودة

شعر: عبد الرحمن عبد الكريم العبيد

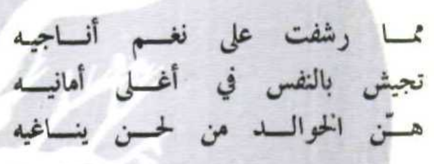
عــادت إلى الشاعر المحــزون تشجيه ... بقيـــة من شبــاب كاد يسبيـه
وفــاض بالحب قلب في صبــــابته ... الـــذه اليوم مــا رقت حواشيـه
نــاهيك عن ربــوة للشـعر حــالمة ... على ضفــاف نديــات مجانيــه
مــالت إليه كعاب الشمس تلثمه ... وضمـــه الأفق في مجلى دراريه
وافتر ثغــر الأقــاحي عن بشاشتــه ... ففــاح بالعطر نــاديه وذاويــه
وشـــفّ عن بلبــل ما كان يبدعه ... وشــفّ عن شــاعر مـا كان يخفيه
حتى أفـــاقت روابيــه معطــرة ... بطــارف من معين الفكر تزجيــه

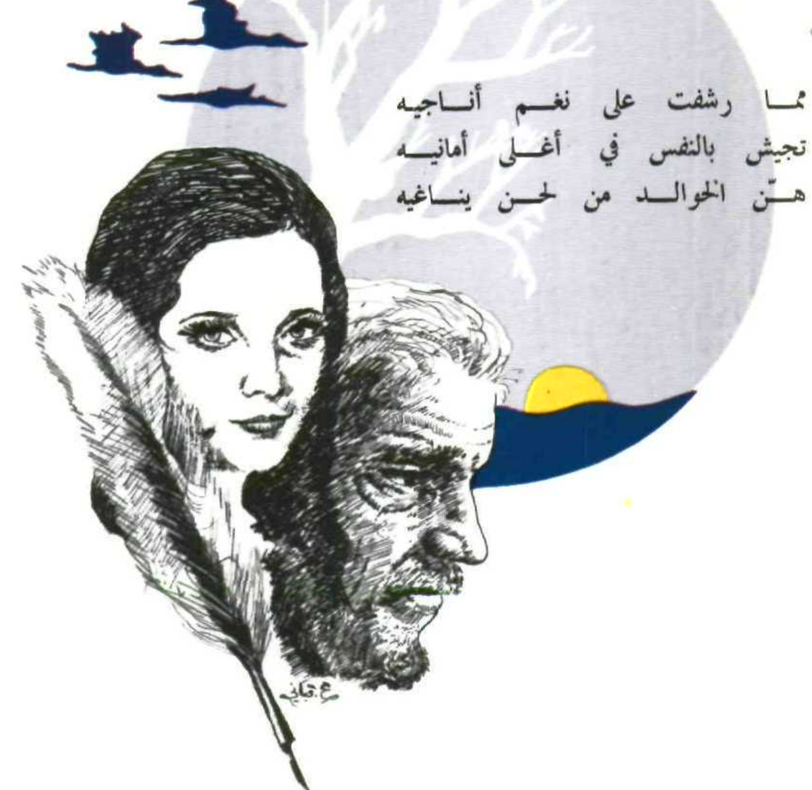
° ° °

يا شــاعرا هزّ عطف الليل فائتلقت ... نجومــه تتمــلى من قوافيـــه
من للأزاهــر يشجيــها ويطربهـا ... وللصبــاح نشيــد الفجر يرويـــه
وللشبــاب سيذكي روحهم ألمــا ... عن ناصع المجد قد أزهت نواحيــه
وللطبيعـــة يمـــلي مــن مفــاتنها ... ما رقّ من حسن للنــاس يبديــه

° ° °

هــات النشيد فحسبي أنــني ثمــل ... ممــا رشفت على نغــم أنــاجيه
والشــاعر الحر من يشدو بعــاطفة ... تجيش بالنفس في أغــلى أمانيــه
يبلى الزمــان ومــا تبــلى له حلل ... هــنّ الخوالــد من لحــن ينــاغيه



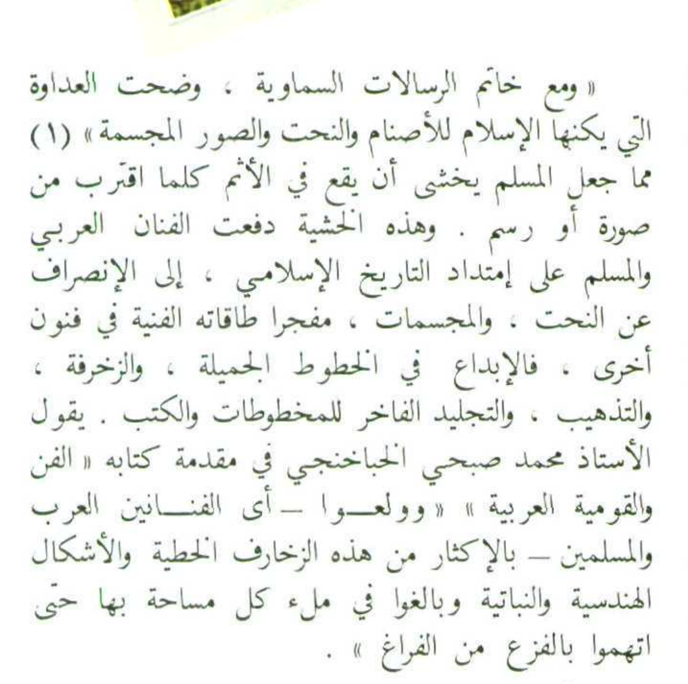


# تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام

تأليف: الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي
عرض وتحليل: السيدة آمال حسين بغدادي

حفل تاريخ الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، بالعديد من الدلائل التاريخية ، التي تشير إلى حقيقة أن العرب كانوا يتمتعون بحس فني ، وذوق مدرك للفن التشكيلي ، ولعل كتابة المعلقات بالذهب على الحرير ، وتعليقها على جدران الكعبة يؤكد لنا هذه الحقيقة ، كما أن معرفة العرب الجاهليين للنماذج المنسوجة والمزخرفة والتصوير والنحت ، تتضح من خلال اهتمامهم واستخدامهم للثياب والبرود اليمانية والقبطية والدمشقية والموصلية . ولقد أتاحت حركة تجارة قريش ، وقبائل مكة ، وقبائل الجزيرة شمالا وجنوبا ، أتاحت الفرصة لهم لمشاهدة الإبداعات الفنية التشكيلية عند فارس ، والروم ، ومصر ، وبلاد ما بين النهرين . ومن وقائع السيرة الشعبية لعنترة العبسي عودته المنتصرة ، حاملا الغنائم والهدايا ، والتي كان من بينها السرادق الكبير ، الذي ازدان بالزخارف ، ثم أن الأصنام والتماثيل التى كانوا يعبدونها ، تحوير للآلهة الفرعونية والرومانية التي شاهدوها ، في أثناء رحلاتهم وتجارتهم ، ف « بعل » تحوير لأبولو ، والعزى تحوير لايزيس .



« ومع خاتم الرسالات السماوية ، وضحت العداوة التي يكنها الإسلام للأصنام والنحت والصور المجسمة » (١) مما جعل المسلم يخشى أن يقع في الأثم كلما اقترب من صورة أو رسم . وهذه الخشية دفعت الفنان العربي والمسلم على إمتداد التاريخ الإسلامي ، إلى الإنصراف عن النحت ، والمجسمات ، مفجرا طاقاته الفنية في فنون أخرى ، فالإبداع في الخطوط الجميلة ، والزخرفة ، والتذهيب ، والتجليد الفاخر للمخطوطات والكتب . يقول الأستاذ محمد صبحي الحباخنجي في مقدمة كتابه « الفن والقومية العربية » « وولعوا — أى الفنانين العرب والمسلمين — بالإكثار من هذه الزخارف الخطية والأشكال الهندسية والنباتية وبالغوا في ملء كل مساحة بها حتى اتهموا بالفزع من الفراغ » .

## تصوير الكتب العربية والتفنن في تجميلها وزخرفتها

لقد استطاع العرب والمسلمون من خلال المد العربي الإسلامي الذي شمل مساحات شاسعة من الأرض الممتدة من تخوم الصين حتى بحر الظلمات ( المحيط الأطلنطي ) استطاعوا اثراء الحضارة الإسلامية بألوان من ثقافات مختلفة ، وكان الدور الذي فرض نفسه على العلماء والمفكرين والمثقفين العرب والمسلمين ، هو أن يطلعوا على تلك المعارف أولا وأن يهضموا — ما يتفق وعقيدة الإسلام — من تراث تلك الشعوب والبلاد التي فتحوها ، في الطب والفلك والرياضة ، في الزراعة وعلوم الحيوان ، في الفكر الفلسفي ، وفي الفنون ، التي كانت لدى الفرس ، والهنود ، وعلماء اليونان وغيرهم . ومما لاشك فيه

( ١ ) باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك . من كتاب البيوع — صحيح البخاري .



صفحتين من كتاب « البيطرة وانتاج الخيل وتربيتها وتدريبها » ، لم يعلم مؤلفه .

أن المسلمين قد بهروا بما وجدوه في فارس من كنوز كسرى ، كما أنه يمكن القول بأن حضارة فارس ، كانت حضارة الصورة ، ولعلنا نجد في التراث الحضاري الفارسي ، ما يؤكد لنا هذه الحقيقة ، فقد تناول شعراؤهم الفحول كالفردوسي ، وعمر الخيام ، والسعدي ، وحافظ ، موضوعات تضج بالصورة ، فالشاهنامة التي تتشابه مع الياذة هوميروس في روايتها لبعض المراحل من تاريخ فارس ، حوت أخبار الملوك والحكام ، ووصف الأقطار ، ومواقع البلدان ، وكتاب مثل « كليلة ودمنة » الذي ترجمه عبد الله بن المقفع في زمن أبي جعفر المنصور ( المتوفى سنة ١٥٨ هـ ) ، إلى اللغة العربية ، جاء فيه ما يؤكد أنه في نصه الأصلي ، كان مصورا ، حيث تجيء عبارة تقول مثلا عن أغراض الكتاب « إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور » .





لوحة ملونة من رسم الفنانة الأمريكية « سوزانا فريتز » لقصة من كليلة ودمنة .

وفي مرحلة الإبداع الذاتي لدى الفنان المسلم نراه لا يجد حرجا في تجميل ديوان شعري بتصاوير زخرفية للنبات كالأزهار والسنابل والأشجار ، أو للحيوان كالسباع والغزلان والظباء والطيور والأسماك ، ولكننا نراه يمسك يده حينما تصل إلى تصوير الإنسان ، وهكذا توالت مؤلفات العلماء والجغرافيين وكتاب الرحلات والأطباء والجراحين وغيرهم ، وقد احتوت على العديد من الصور التوضيحية والرسوم والخرائط ... إلخ .

وفي ميدان الطب والتشريح يوجد من الكتب المصورة ، كتاب « تركيب العين » لحنين ابن اسحاق



« صفحة من مخطوط « تشريح العين » لابن إسحاق »

« ٢١٥ — ٢٩٨ » وهو يتناول تشريح العين وأمراضها ، ويشتهر حنين بتعريبه لكتب الحكم اليونانية كأبيه ، وكان رشيد الدين الصوري ( المتوفى سنة ٦٣٩ هـ ) يخرج لدراسة الحشائش في منابتها ببلاد الشام ، مصطحبا مصورا ومعه الأصباغ إلى مواضع النبات ، فيسجل بالكلمة ، والرسم ما يلاحظه على النبات .

وفي علم الجغرافيا ، ألف « أبو زيد البلخي » في القرن الهجرى الرابع كتابا صور فيه الأقاليم السبعة حيث يعتبر أول مصور جغرافي إسلامي ، كذلك اشتهر الشريف الأدريسي بكتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي حوى خرائط تفصيلية ، وحوى كتاب

« قانون الدنيا وعجائبها من مشرقها لمغربها » لأحمد بن علي زنبل المحلي ، مئات الصور والخرائط ، وعلى نفس المنوال جاءت كتب المسالك والممالك لابن حوقل ، والمسالك والممالك لابن خرداذبة ، وكتاب الأقاليم للأصطخري .



صورة العراق من كتاب الأقاليم للاصطخري .

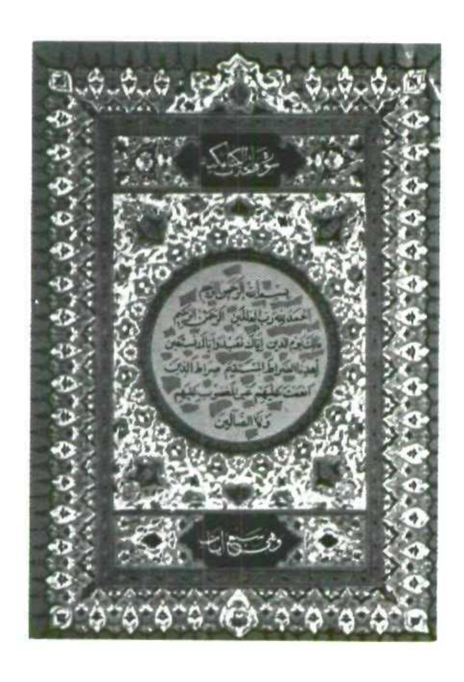
وهكذا نجد هذا الاهتمام بالصور في كل ما ألفه العلماء والكتاب العرب والمسلمون ، سواء كان الأمر يتعلق بكتاب في الفروسية ، أو في باب الرسوم الهندسية والميكانيكية كالساعات ، أو آلات رفع المياه ، أو حتى في الطرب والغناء والموسيقى .

## زخرفة المصاحف الشريفة

أبدى الفنان المسلم عناية خاصة بالمصحف الشريف ، كتاب الله المنزل على عبده ورسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، فلقى المصحف الشريف أعظم درجات التفنن من الخطاطين ، والمزخرفين ، والمزوقين ، والمجلدين . ولا عجب فالفنان المسلم يستشعر نوال البركة والثواب والأجر من الله عندما يتفانى في خدمة كتاب الله . والحقيقة أن مختلف فئات المجتمع العربي المسلم لم تكن بأقل تفانيا من الفنانين في هذا السبيل ، حتى أن بعض السلاطين كان يتبرك بكتابة المصحف بيده ليحفظ في المساجد . وليس من شك في أن القرآن الكريم ليس في حاجة إلى زينة من خارجه ، فكماله وجلاله وجماله تنبعث من كلمات الله التامات ، لكن الرغبة في نوال البركة هي الدافع وراء الحرص والعناية بمخطوطات القرآن الكريم .

ورحلة التفنن في كتابة المصحف الشريف ، تبدأ بالكتابة ، فقد استخدمت أجمل الخطوط ، ومنها الخطوط الكوفية التي يرجع أقدمها إلى أواخر القرن الهجري الأول ، واستخدمت كل أصناف الرقوق والجلود والكواغد ، ولجأ الخطاطون والمذهبون إلى استخدام ألوان عديدة من المداد والألوان ، وكتبت المصاحف على صفائح الذهب والفضة ، وعلى صفائح العاج ، وطرزت آياته بالذهب والفضة على الحرير .

لقد عرف ( الذهيب ) بسبب كثرة استخدام الذهب بين الألوان ، حيث مرّ تذهيب المصحف بمراحل مختلفة ، بدأت بوضع أشرطة تفصل بين السور ، ثم بين الآيات ، وأضيفت بعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف . وفي القرن الثاني الهجري بدأت كتابة أسماء السور داخل الأشرطة بحروف من الذهب ، ثم انتقل التذهيب إلى الصفحات الأولى .





ومن أشهر المصاحف النادرة في العالم ، والموجودة بدار الكتب بمصر ، مصحف يقـال أنه مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الذي استشهد حينما كان يقرأ فيه ، وقد كتب بخط كوفي على رق غزال من غير شكل ولا نقط ولا كتابة أسماء السور ، كما أنه توجد

صورة شمسية للمصحف المعروف بالسمرقندي ، ومصاحف أخرى منسوبة لأبي سعيد الحسن البصري ، أبي جعفر الصادق ، وللسلاطين قلاوون ، وشعبان ، وبرقوق ، والمؤيد ، خوند بركة أم السلطان شعبان ، وغيرهم .

## صناعة الحبر والمداد والألوان

ينقل المؤلف عن صبح الأعشى للقلقشندي ، بعض طرق صناعة المداد ، ومنها نوع يصنع من مواد لا تحتاج إلى علاج كبير كالعفص ، الزاج ، الصمغ ، كما أن منها ما يحتاج إلى علاج وتدبير وهو الدخان ، الذي ينتج عن أصناف تحتوي على مادة دهنية كبذور الفجل ، والكتان ، أما سخام النفط فهو أجود أنواع المداد . ويناسب حبر الدخان بعض أنواع الورق المسمى ( الكاغد ) ويناسب الرق الحبر الرأسي ، ولا دخان فيه ، لكنه مضر بالبصر لبريقه .

ويستخدم ورق الذهب بعد أن يحل في الليمون الصافي النقي في إناء صيني ليكتب بما يترسب من ورق الذهب في كتابه الذي هو عن فواتح الكلام ، من الأبواب ، والفصول ، والأوامر السلطانية ، والأسماء الجليلة . وإلى جانب ورق الذهب هناك اللازورد ، والزنجفر المغربي ، والمغرة العراقية .

كما يتحدث مؤلف الكتاب عن الآلات المستخدمة في الكتابة ، وهي كالتالي : الملواق الذي تلاق به الدواة ، والمرملة ( المتربة ) والمنشأة ( للصق ) والمنفذ ( المخرز ) لخرم الورق ، المسطرة ، المصقلة ... إلخ .

وقد اعتنى المؤلف بتقديم دائرة معارف مختصرة للرسامين والمصورين والمزوقين والمزخرفين ، مرتبة حسب الحروف الهجائية .

## نوابغ الخطاطين العرب

كانت قلة من أهل مكة ، والمدينة ، هي التي تكتب ، وكان منهم : زيد بن ثابت ، يكتب بالعبرية والعربية ، أبي بن كعب ، بشير بن سعد ، عبد الله بن الأرقم ، ثابت ابن قيس بن شماس ، خالد بن سعيد بن العاص ، معاوية بن أبي سفيان . وكان الخلفاء الأربعة أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعث . وبعد الفتح العربي الإسلامي ، ظهرت الحاجة إلى إجادة الخط ، ووصل إلى درجة عالية من الإتقان في الكوفة والبصرة ، كما كانت بغداد مركزا هاما من مراكز ومدارس الخط العربي ، واشتهر من الكتاب علي بن مقلة الوزير ، ثم جاء بعده علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب وهو الذي أكمل قواعد الخط العربي ، وتممها ، مكملا عمل الوزير ابن مقلة .

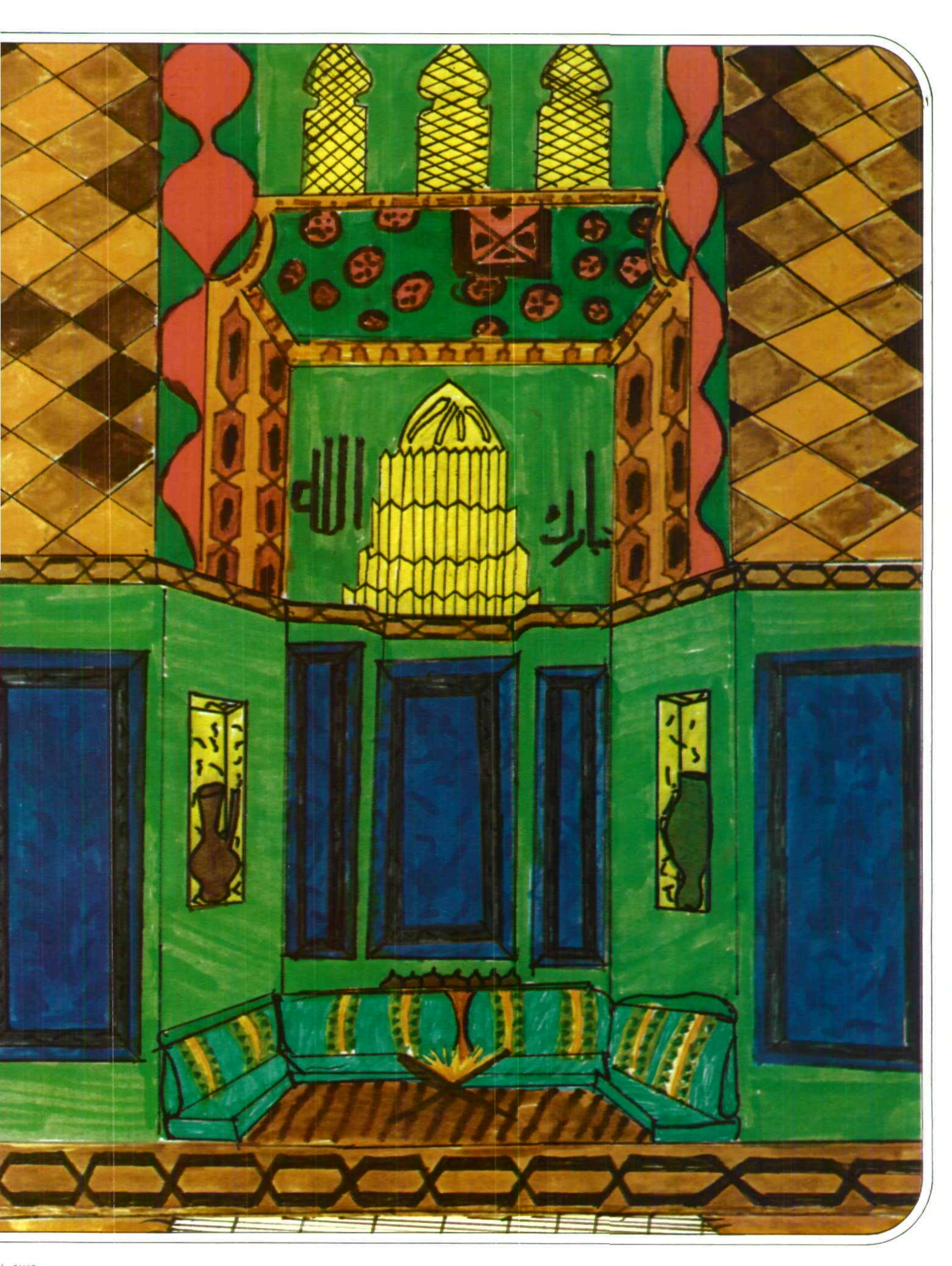
## بعض الملاحظات على الكتاب

أخطأ المؤلف ، عندما كان يتحدث في ( صفحة ٣٠ ) عن آثار سامراء ، فأشار إلى أن المدينة المدفونة في الغرب هي بمباى ، والصحيح أنها ( بومبي ) . يفتقر الكتاب إلى التنظيم والترتيب ، وعدم هضم الموضوعات ، فهل ينقل مقالات كاملة لآخرين ، وليس هكذا يكون التأليف ، ومن الأمثلة على ذلك نقله مقالا كاملا للدكتور أحمد موسى عن تزويق المخطوطات الإسلامية استغرق الصفحات من ٧١ إلى ٧٦ ، ثم يتلوه مباشرة مقال كامل أيضاً للدكتور جمال محرز عن تذهيب المصاحف من صفحة ٧٧ إلى ص ٧٩ ، والأمثلة الأخرى عديدة ، وهو يقع في التكرار المخل عندما يذكر في أكثر من موضع تحريم الإسلام لبعض الفنون ثم أن الكاتب لديه ولع شديد بالدعاية لنفسه ، حتى أنه يثبت المكاتبات الرسمية الصادرة له من رئيسه في العمل بخصوص عمل فهارس لموسوعة صبح الأعشى .

ومن نقاط النقد التي توجه للكتاب ، وأيضاً لدار النشر أن الكتاب وهو يتحدث عن الفنون التشكيلية ، واستخدام الألوان المختلفة ، والتذهيب ، والزخرفة ، لم يحو أي صورة ملونة .

لكن المؤلف من ناحية أخرى قام بجهد مشكور ، من خلال إطلاعه على العديد من المخطوطات العربية ، وأجتهد على قدر طاقته ليضيف للمكتبة العربية ما يؤخذ منه للتراث □

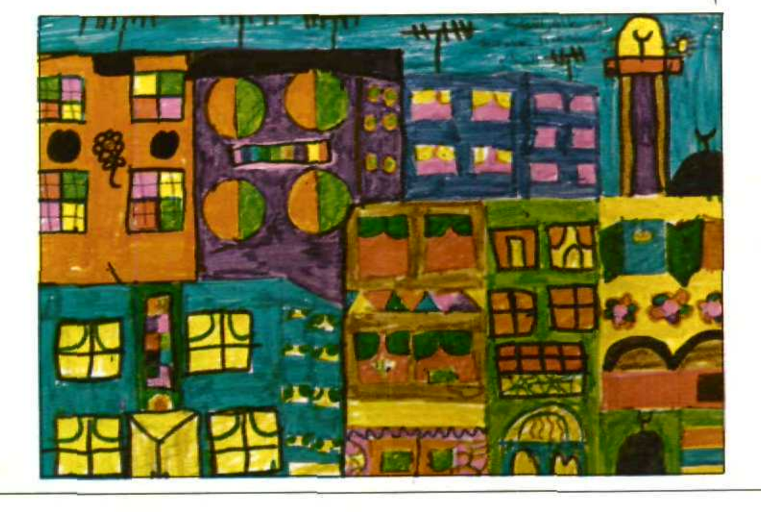
آمال حسين بغدادي / القاهرة


الله
تبارك

# مزيد من الرسومات واللوحات الفائزة في مسابقة أرامكو للأطفال في الرسم والتصميم

في عدد شوال الفائت نشرت « القافلة » مجموعة من الرسومات واللوحات التي وقع عليها الاختيار من بين ما يربو على ١٣٠٠ لوحة قام برسمها أطفال من مختلف مدارس المملكة العربية السعودية اشتركوا في المسابقة الفنية . وعلى هذه الصفحات يطالع القارىء مجموعة أخرى من اللوحات الفنية الفائزة التي بلغ عددها واحدة وأربعين لوحة ، مع أسماء الأطفال الفائزين والمدارس التي ينتمون إليها .. وإدارة العلاقات العامة بأرامكو ، إذ تهنىء الأطفال الفائزين في هذه المسابقة الفنية ، لتأمل في أن تواصل ، بإذن الله ، تنظيم المزيد من هذه المسابقات وذلك تشجيعا منها لتنمية المواهب الفنية لدى أطفال المدارس في المملكة العربية السعودية .

٣



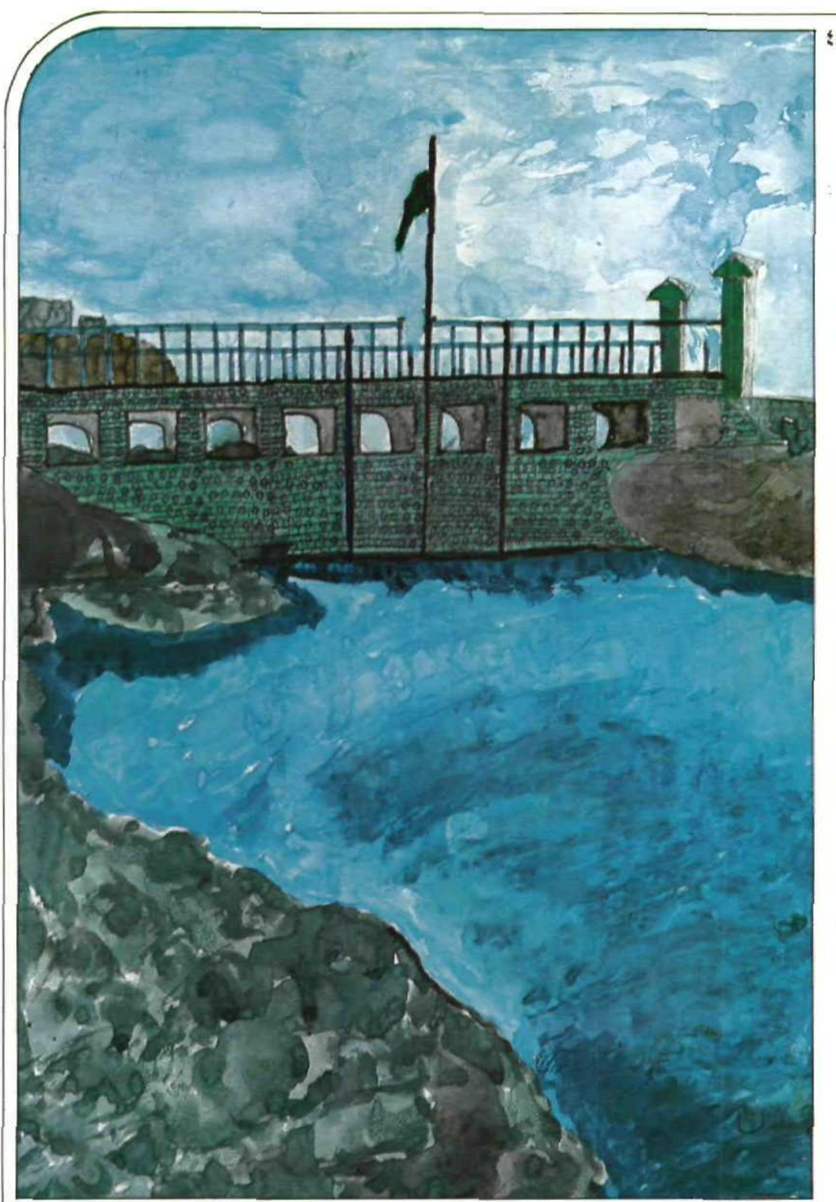
١ – مدارس الرياض الأهلية ص . ب . ١٥٤١
الاسم : ياسين فيصل محمد عناني
العمر : ١٣ سنة .

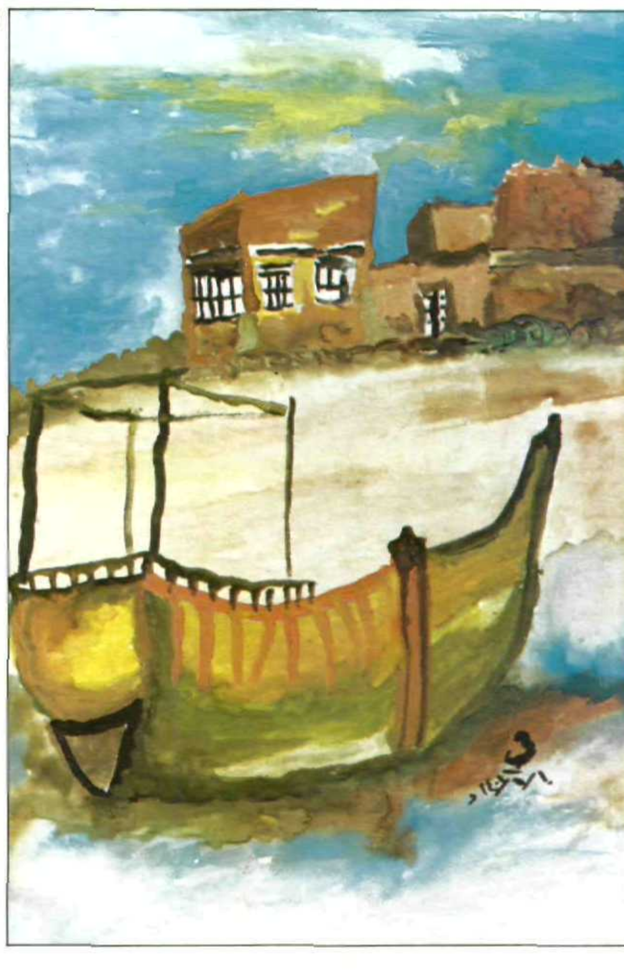
٢ – الاسم : حسام محمد رشاد هندام
العمر : ١٢ عام
العنوان : الدكتور محمد رشاد هندام
اسم المدرسة : الجاحظ الابتدائية – الطائف

٣ – الاسم : مازن محمد صالح المغلوث
الموضوع : أحد مظاهر النهضة الحديثة في العمران
العمر : ١٤ سنة
المدرسة : العدامة المتوسطة بالدمام

١

٢







١ – الاسم : نبيل أحمد بوبشيت
العمر : ١٤ سنة
المدرسة : المتوسطة بالدمام

٢ – الاسم : محمد وائل أحمد الباني
العمر : ١٢ سنة
العنوان : مدرسة الخبر المتوسطة النموذجية .

٣ – اسم المتسابقة : مي سالم مبارك الدوسري
العمر : ١٢ سنة
العنوان : ارامكو – الظهران
حي المنيره – ص . ب : ٣٤٧٥

٤ – الاسم : صفية امير حسين محمد
المدرسة : السادسة عشر الابتدائية
العمر : احدى عشر سنة (١١)
العنوان : المدينة المنورة –

٥ – الاسم : جمال عبدالله الهويشل
العمر : ١٤ سنة .
المدرسة : الفيصل المتوسطة بالدمام .

# أخبار الكتب

* مازالت حركة تحقيق التراث ناشطة على الرغم من أنها فقدت ركنا ركينا من أركانها بوفاة العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في ١١ يناير ١٩٨١ الذي حقق بمفرده ما يزيد على خمسين كتابا من أمهات الكتب العربية. منها «الأغاني» بأجزائه التي تتجاوز العشرين. و «تاريخ الطبري» بأجزائه التي تتجاوز العشرة و «شرح نهج البلاغة» بأجزائه العشرين.

ومن الكتب التي حققت أخيرا «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي ونشر مكتبة الخانجي. و «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» لجلال الدين السيوطي الشافعي ونشر دار الحرية. و «نثر الدرر» للوزير الكاتب أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي، وقد صدر جزؤه الأول بتحقيق الأستاذ محمد علي قرنة ومراجعة الأستاذ الراحل علي محمد البجاوي. وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. و «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» وهو في جزئين للوزير المغربي ابن الخطيب. وقد حققه الأستاذ محمد عبد الله عنان ونشرته مكتبة الخانجي. و «خصائص أمير المؤمنين علي بن ابي طالب» لابن عبد الرحمن أحمد النسائي ونشر دار الحرية» و «رسائل الجاحظ» في أربعة أجزاء من تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ونشر مكتبة الخانجي. و «مختصر من تفسير الإمام الطبري» من تحقيق الأستاذ محمد حسن أبو العزم ومراجعة الدكتور جودة هلال ونشر الهيئة المصرية وهو في جزئين.

* يعكف الدكتور حسين مجيب المصري على إعداد قاموسين كبيرين، أحدهما قاموس تركي / عربي. والآخر قاموس للأمثال التركية والعربية. وسينشر المعجمان عن دار الحكمة في استنبول. والدكتور المصري، على تخصصه في اللغتين الفارسية والتركية، يجيد اللغات الأنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية.

* في علم الجمال صدرت ثلاثة كتب جديدة عن مكتبة الأنجلو هي «علم الجمال» للدكتور عبد الفتاح الديدي. و «علم الجمال في الفلسفة المعاصرة»، و «دراسات في علم الجمال» وهما من تأليف الأستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد.

* في الأدب واللغة صدرت طائفة من الكتب الجديدة منها «مقدمة في فقه اللغة» للدكتور لويس عوض ونشر الهيئة المصرية، و «دراسات في التراث العربي» للدكتور محمد عبد القادر أحمد ونشر مكتبة الأنجلو المصرية. و «الشعر الحديث في الحجاز» للأستاذ عبد الرحمن أبو بكر ونشر الهيئة المصرية. و «دراسة في مصادر الأدب» للدكتور الطاهر أحمد مكي ونشر دار المعارف. و «عن اللغة والأدب والنقد» للدكتور محمد أحمد العزب ونشر مؤسسة سجل العرب. و «النقد والبلاغة» للدكتور عبد القادر القط ونشر دار المعارف. و «خصائص الأدب العربي» للأستاذ أنور الجندي ونشر دار الاعتصام. و «النقد الأدبي الحديث ورواده» للدكتور زغلول سلام ونشر منشأة المعارف بالاسكندرية. و «نظرية البنائية في النقد الأدبي» للدكتور صلاح فضل ونشر مكتبة الانجلو المصرية.

* من الدراسات المتعلقة بالمسرح التي صدرت أخيرا: «الإخراج المسرحي» لكارل ألمزويرث وترجمة الأستاذ أمين سلامة ونشر مكتبة الانجلو. و «المسرح الكوميدي من نجيب الريحاني إلى اليوم» للأستاذ محمد فكري ونشر دار الهلال. و «صرخات فوق المسرح» للأستاذ فتحي العشري ونشر دار المعارف.

* بدأت دار المستقبل تصدر سلسلة من الكتب عنوانها «الأساس» تمثل كتب المصادر الرئيسية في أبواب المعرفة المختلفة. وقد افتتحت هذه السلسلة بكتاب عن «معالم تاريخ المغرب والأندلس» للدكتور حسين مؤنس.

وصدرت أخيرا كتب جديدة عن المغرب منها «من التراث الأدبي في المغرب» للدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة ونشر عالم الكتب، و «الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس» للدكتور حسن على حسن ونشر مكتبة الخانجي.

* في دوحة الشعر صدرت الدواوين التالية: «ديوان النيل» ويتضمن ما قاله الشعراء في هذا النهر، وقد قدم له الشاعر الأستاذ حسن كامل الصيرفي وصدر عن الهيئة المصرية، وديوان «موكب الذكريات» للشاعر الدكتور مختار الوكيل ونشر دار المعارف. و «صدى الأيام» للشاعر الدكتور محمد رجب البيومي وقد صدر عن مطبعة الرضاء. و «ديوان الحب في زماننا» للشاعرة وفاء وجدي ونشر الهيئة المصرية، و «الغرفة الخالية» للشاعر خليل فواز.

* ومن الدراسات المتعلقة بالشعر التي صدرت حديثا «الرؤيا الإبداعية في شعر الهمشري» للدكتور عبد العزيز شرف ونشر دار المعارف في سلسلة «اقرأ».

* صدر للعلامة الدكتور زكي نجيب محمود كتاب كبير عنوانه «هذا العصر وثقافته» من توزيع دار المستقبل.

«مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث» عنوان الدراسة التي صدرت للأستاذ مصطفى عبد الغني عن دار الموقف العربي.

* يتابع الدكتور رؤوف عبيد كتبه التي يعالج فيها مسائل الروح. وقد صدر له أخيرا كتاب «الإتصال بين عالمين» مترجما عن ماثيومانتج. ونشرته دار الفكر العربي.

* بمناسبة احتفال مجلة «الفكر التونسية» بيوبيلها الفضي لانقضاء ربع قرن على إصدارها، خصصت عدد نوفمبر ١٩٨٠ للبحوث والدراسات والقصائد التي قيلت في المهرجان وهي لمنشيء المجلة معالي السيد محمد مزالي. ورئيس تحريرها الأستاذ البشير بن سلامة وطائفة من أدباء الأقطار العربية كالدكتور شكري فيصل والشاعرة طلعت الرفاعي. والدكتور محي الدين صابر، والأستاذ الحبيب شيبوب، والشاعر حسين رشيد خريس، والدكتور حسام الخطيب. والأستاذ خليفة التليسي، والأستاذ الرشيد ادريس، وغيرهم.

ويمثل هذا العدد لا تاريخ «الفكر» وحدها، بل تاريخ الثقافة التونسية في حقبة مزدهرة من حياتها.

# المشكاوات

بقلم: الاستاذ اسماعيل احمد اسماعيل

## المشكاوات

جمع مشكاة ، وهي غلاف خارجي من الزجاج المموه بالمينا ، يوضع فيها مصباح « قنديل أو مسرجة » مثبت بطرفها ، وهي عبارة عن غطاء لهذا المصباح الذي يضاء بالزيت . ولكل مشكاة مقابض « آذان » في بدنها تشبك فيها ثلاث سلاسل أو أكثر من نحاس أصفر أو فضة تتلاقى عند كرة بيضية أو مستديرة الشكل تبدأ عندها السلسلة التي تعلق بها المشكاة في السقف .

وتعتبر المشكاوات من أدوات المسجد ، ولذلك يطلق عليها مصابيح المساجد ، وأحيانا القناديل . وبسبب علو بنيان المساجد ووجود القباب في بعض منها من ناحية أخرى ، فقد كثر استخدامها حيث قام سلاطين وأمراء المماليك بتشجيع صناعتها .

هذا وقد ازدهرت صناعة الزجاج بمصر والشام ابان العصرين الأيوبي والمملوكي وذلك بفضل تشجيع ملوكهم وسلاطينهم وأمرائهم ، فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين . وشهد القرن الرابع عشر الميلادي ، ازدهارا في صنع التحف من الزجاج المموه بالمينا ، واشتهرت مراكزه في القاهرة ودمشق وحلب ، وأقبل الحجاج الأوربيون وكذلك أمراء اليمن على إقتناء هذه التحف ، كما صدّر بعضها إلى الصين . وعقب استيلاء « تيمورلنك » على دمشق وحلب « ١٤٠٢ م » ، نقل مهرة الصناع إلى سمرقند محاولا نشر هذه الصناعة في بلاده لكنه فشل .

والمينا هي عبارة عن بودرة زجاجية مصبوبة ، فحينما تصنع الآنية أو المشكاة ، ويحدد الصانع الزخارف ، ثم يقوم بتذهيب القطعة ، وبعدها تحدد بخطين بالمينا الحمراء ، ثم تملأ المينا بخطوط مختلفة الألوان .

## وصف المشكاة

المشكاة هي إناء زجاجي ذو شكل كروي كبير منتفخ مسحوب إلى أسفل ينتهي بقاعدة ترتكز عليها المشكاة إذا لم تعلق . وبعضها ذو قاعدة محدبة فلا تستقر على الأرض . ورقبة المشكاة على شكل قمع ينتهي بفوهة متسعة ، ويتراوح عدد السلاسل التي تعلق منها ما بين ثلاث إلى ست .

وتنتهي العرى أو السلاسل بكرة بيضية والتي تمثل حلقة الاتصال بين المشكاة كبيرة الحجم والسلسلة الرفيعة الطويلة كما توجد التناسق الذوقي بينهما .

وزجاج المشكاوات أبيض يميل إلى الصفرة أو الحمرة ، وعلى الرغم من نقاء النقوش المرسومة بالمينا إلا أنه يلحظ بعض فقاعات الهواء ، لكنها لا تصل إلى درجة تشويهه ولعلها ترجع إلى عيوب في الزجاج الشرقي ، وتختلف ألوان مينا المشكاوات فمنها الأحمر والأخضر والأزرق، والأبيض بلون وردي .

## زخارف المشكاوات

تتألف زخارفها من أشكال فنية نباتية وهندسية ورسوم طيور وجامات تتوسطها وتتخللها آيات قرآنية وشارات ( رنوك ) للأمراء الذين أمروا بصنعها وقفا على بيوت الله وكتابات دعائية لهم . وقد ورد ذكر المشكاة في قوله تعالي في سورة النور : « **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها**



مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ، تحمل زخارف كتابية وهندسية ورنوك ، تنسب للعصر المملوكي بمصر والشام.

**يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .**

فمن تلك الآية استلهم الفنان المسلم اسم المشكاة وشكلها وأبدع في كتابة الآيات القرآنية على فوهتها وسطحها تزينها زخارف عربية ممثلة في أشكال نباتية وهندسية بديعة .

ويمكن القول أن زخارف المشكاوات تتناسب والوسط الديني الذي صنعت من أجله ، حيث تزينها كتابات مملوكية لآيات قرآنية وعبارات دعائية ونصوص تاريخية بالخط النسخ والكوفي المضفر ، ويلاحظ شيوع الأخطاء الخطية على هذه التحف النفيسة . وتعتبر تلك الكتابات والنقوش مصدرا أساسيا للعديد من الدراسات التاريخية والأثرية ، وترجمة لثقافة ومجتمع العصر ومدى رفاهيته وإزدهار حضارته . ونشير في هذا المجال إلى المشكاوات المزخرفة بأشكال نباتية وآيات قرآنية لكنها ليست مصنوعة من الزجاج المموه بالمينا كالتي صنعت من الخزف من أنواع رودس وازنك ، وذات ثلاثة مقابض .

## رعاية المماليك لصناعة المشكاوات

زينت مساجد ومدارس مصر والشام في عصر المماليك بروائع المشكاوات المصنوعة من الزجاج المموه بالمينا ، ويوجد نحو ستين منها محفوظا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وأخرى في متحف المتروبوليتان بنيويورك ، وبعضها بمتاحف فيكتوريا والبرت ، والمتحف البريطاني بلندن ، واللوفر بفرنسا ، بخلاف باقي المجموعات الخاصة .

وتؤكد لنا وثائق العصر المملوكي مدى الاهتمام بالمشكاوات فكان يخصص في كل مسجد حجرة لحفظ المشكاوات وأدوات إيقادها وصيانتها سميت « حاصل القناديل » ، بخلاف حجرة « حاصل الزيت » لتخزين الزيت اللازم لإضاءة المشكاة على مدار العام ، كما كانت بالمسجد النبوي الشريف ، بل استحدثت في هذا العصر وظائف « أمين الزيت » و « الوقاد » أو « القنديلجي » الذي يقوم بمراقبة إضاءة المشكاوات وإصلاح أعطالها ، ولشاغل هذه الوظيفة متطلبات الإلمام بمعرفة أنواع الزيت النقية التي لا تثير مخلفات الدخان وتتمثل في زيت الزيتون ، بالاضافة إلى قدرته الصحية على هذا



مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ، عليها زخارف كتابية ونباتية ورنوك .. من جامع السلطان برقوق بالقاهرة

العمل اليومي الشاق خاصة إذا ما علمنا بارتفاع أسطح مساجد ومدارس العصر .

## موطن صناعة المشكاوات

لقد أدى تحديد اقليم صناعة المشكاوات إلى تضارب آراء المهتمين بالآثار فمنهم من يرجعها إلى سورية لنهضة صناعات الزجاج بها إبان العصر الوسيط ، إلا أن الدكتور « زكي حسن » يرى أن الأخذ بهذا الرأي يجعلنا ننسب معظم المشكاوات للقرن الثامن الهجري وبالتالي تنسب للغزوات المغولية ، إذ أن « تيمورلنك » استولى على دمشق سنة ٨٠٣ هـ ونقل مهرة الصناع إلى سمرقند كما أشرنا سابقا .

وأصحاب الرأي المتقدم يعللون ندرة المشكاوات في القرن الثالث عشر الميلادي إلى قيام الحروب الصليبية في المنطقة والتي أدت إلى إنقطاع الاتصال بين مصر والشام ، ومع الرأي السابق يرجع البعض استخدام التذهيب والتمويه بالمينا على المشكاوات إلى أصول سورية ، لكن « ماكس هاينز » وتبعه « ادوارد كارينر » وغيرهما يرون أن أصلها مصر ، ويعتمد في التدليل على رأيه إلى حجج ثلاث :

- عدم استساغة استيراد مثل هذه التحف القابلة للكسر أثناء النقل .
- خصائص ونقاء العناصر الزخرفية .
- الكتابات المنقوشة على المشكاوات .

ومع أن هذه الأسباب تبدو معقولة لدى الكثيرين ألا أنها في نظر البعض الآخر ليست مطلقة الدلالة . فيذكر « القزويني » أن الزجاج كان يستورد من مسافات بعيدة ومنه زجاجيات حلب ، تحمل إلى سائر البلاد كهدايا على شكل تحف على حد وصفه . ورغم عراقة مصر في صناعة الزجاج فإن ذلك ليس كافيا . كما أن موضوع الكتابات ليس مطلقا أيضاً إذ يمكن التوصية بنقش كتابات وأدعية معينة على التحفة . أما البرهان الثالث فيما يتعلق بالزخرفة فإن الرد عليه يسير بإنتقال الأساليب الزخرفية بسهولة بين مراكز الفنون الإسلامية بشتى طرق الإتصال .

ويستند البعض إلى موضوع النفقات ، وينسب المشكاوات إلى مصر المملوكية تجنبا للتكلفة ، ويؤكدون على أن زخارف تلك المشكاوات تتشابه وزخارف العمائر والتحف في هذه الفترة وهذا ينطبق ، في رأيهم ، بوضوح على مشكاة السلطان حسن التي تزينها زخارف تتفق وزخارف تربته .

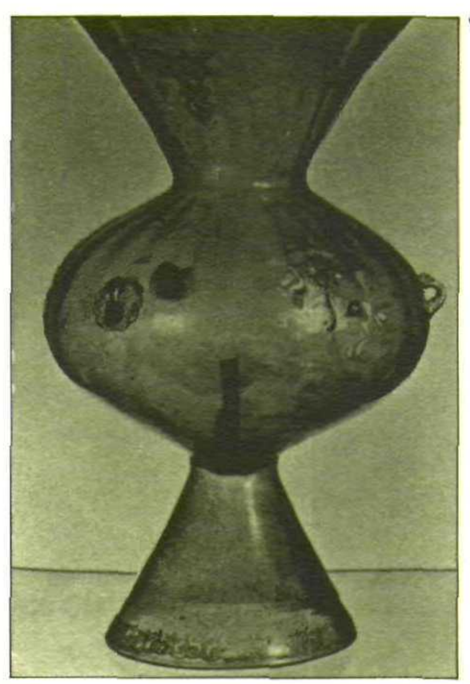
ويذهب البعض إلى أن البتّ في موطن صناعة المشكاوات يتطلب التحليل المختبري لمواد صناعة الزجاج ، وعلى الرغم من أن المواد واحدة في مختلف الأقطار فإن المواد المساعدة تختلف من قطر إلى آخر ، يضاف إلى ذلك أن نسبة السليكات في الرمل تختلف هي الأخرى ، وللتدليل على ذلك فان تحليل زجاج إسلامي مصري يرجع للقرن الثامن الميلادي قد كشف النسب التالية : سليكات ٧١٫٤ ، أكسيد صوديوم ١٦٫٩٨ ، أكسيد بوتاسيوم ٠٫٢٧ ، أكسيد كلسيوم ٢٫٧٤ ، أكسيد ألومنيوم ٤٫٧٥ ، أكسيد حديد ٢٫٠٢٠ ، أكسيد كبريت ٠٫١٢ ، ماء ٠٫٢٨ .

ويذهب زكي حسن إلى أن مصر والشام إبان العصر المملوكي كونتا في الغالب دولة واحدة وللبلدين عراقة في صناعة الزجاج ، ونظرا لطبيعة تلك التحف من القابلية للكسر . فإنه يرى عدم وجود مبرر لتركيز تلك الصناعة في اقليم دون آخر . ويخلص إلى أن هذه الصناعة ذات التكاليف الباهظة ازدهرت في البلدين معا حيث شهدت أزهى فترة رقي لها في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي □

**اسماعيل أحمد اسماعيل حافظ / مكة المكرمة**

٤

١



٢



٣



١ – مشكاة من الزجاج المذهب والمموه بالمينا ، من صناعة سوريا ، من القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ – مشكاه من الزجاج المموه بالمينا ترتفع بمقدار ٣٠ سم ، عليها زخارف كتابية ونباتية ورنوك ، يقرأ منها ( ... هذا ما اوقفه العبد الفقير إلى ... ) من صناعة سوريا وكانت تخص أحد كبار جند السلطان محمد بن قلاوون .

٣ – مشكاة من الزجاج المموه بالمينا من صناعة مصر تحمل كتابات ورنوك ، صنعت لأحد أمراء الناصر محمد ومن القابه على المشكاة ( الجليس الملكي الناصري ) وعلى رقبة المشكاه آيات قرآنية .

٤ – مشكاة ملونة من خزف إزنك ، تحمل زخارف كتابية ونباتية من مسجد السلمانية في استانبول ، تنسب للقرن السادس عشر الميلادي .

